النزعة الأندلسية
خلال عصري المرابطين والموحدين
٤٨٣-٦٢٦هـ/ ١٠٩٠-١٢٢٨م

دراسة وتحليل

دكتور
وليد محمد إبراهيم محمود
أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة
كلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر

النزعة الأندلسية خلال عصري المرابطين والموحدين

٤٨٣-٦٢٦هـ/ ١٠٩٠-١٢٢٨م

دارسة وتحليل دكتور

وليد ابراهيم

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بأسيوط

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

waleedmahmod.47@azhar.edu.eg

الملخص

من الآفات التي عانت منها الخلافة الإسلامية الكبرى في المشرق في عصري الأمويين والعباسيين مشكلة " الشعوبية " أو العصبية العرقية ، وكانت من العوامل المؤثرة وبقوة في نهضة الخلافة واستمرارها. وفي الغرب الإسلامي وتحديدًا في الأندلس ظهرت هذه الآفة في صورة " النزعة الأندلسية " في مواجهة المرابطين ثم الموحدين الذين سخروا جيوشهم للدفاع عن الأندلس من السقوط في يد الممالك الإسبانية النصرانية ، وقد جاءت هذه الدراسة لرصد وتحليل هذه الظاهرة فكانت بعنوان "النزعة الأندلسية خلال عصري المرابطين والموحدين ٤٨٣ ــ ٦٢٦هـ / ١٠٩٠ ــ ١٢٢٨ " دراسة وتحليل وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على النزعة الأندلسية التي اجتاحت الأندلسيين في مواجهة حكم المرابطين ثم الموحدين ، من حيث الأسباب والأحداث والنتائج المترتبة عليها.

الكلمات المفتاحية: المسلمون – الاندلس – الأحوال السياسية – يوسف بن تاشفين – المجتمع الأندلسي – المهدي ابن تومرت – الثقافة الأندلسية – الزعامات المحلية – بلاد المغرب – النصارى الإسبان – هزيمة العقاب – النخبة الأندلسية – سقوط الأندلس

Andalusian Nationalism during Almoravid and Almohad (483 – 626 hijri / 1090 j 1228 AD) . Research Summary

Waleed Ibrahim
Department of History and Civilization, Facultyof Arabic language -Al -Azhar university, asyut ,Egypt.
E-mail : waleedmahmod.47@azhar.edu.eg

Abstract:
One of the Problems that the Great Islamic Caliphate Suffered in the East in The ages of Umayyads and Abbasids and the ages followed is the Problem of Populism or Ethnicism . It was one of the factor that Affected Strongly in the rise and success of the Caliphate. This problem in the form of andalusain nationalism in the west against Almoravids and Almohads Who used their armies to defend andalus . This Study Came to investigate and analyze this phenomenon which was entitled : " andalusian Nationalism During Almoravids and Almohads ages (483 – 626 hijri / 1090 j 1228 AD) . The aim of this study is to shed light on the Andalusian nationalism That has filled Andalusia in the face of the Almoravids and the Almohads rule in terms of causes, events and Consequences.

Key words : Muslims - Andalusia - Political Conditions - Yusuf Bin Tashfin - Andalusian society - Mehdi Ben Toumert - Andalusian culture - Local leaders - Morocco - Spanish Christians – Defeating Alecap- Andalusian elite - Fall of Andalusia

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم أن نلقاه.

وبعد:

فالتاريخ عبرة وعظة، وأحداثه دروس وخبرات، وتاريخ أمتنا الإسلامية مليء بالنجاحات والإخفاقات، ودراستنا له يجب أن تتناول كل نواحيه، فما كان النجاح بالصدفة، ولا كان الإخفاق بالسهو والنسيان، ولكن كلاهما ترتب على عوامل وأسباب، أستقيت من أفكار قبل أن تتحول إلى أحداث ونتائج.

ومن أخطر الأمراض التى أودت بعظمة الأمة الإسلامية " تيار الشعوبية " والعصبية العرقية فى عصر الأمويين والعباسيين وما بعدهما، وبه الكثير من الدراسات التاريخية والأدبية والاجتماعية... وغيرها.

أما هذه الدراسة فقد أفردت لرصد هذه الظاهرة فى الغرب الإسلامي وتحديدًا فى بلاد الأندلس، خلال عصري المرابطين والموحدين المغاربة الذين حكموا الأندلس زهاء قرن ونصف من الزمان، فاشرأبت هذه الأفكار، ولكن فى صورة نزعة قومية أندلسية فى مواجهة الحكام المغاربة الوافدين.

ولما لم يقع تحت أيدينا دراسة مستقلة لهذه الظاهرة سوى كتاب الأستاذ الدكتور / عبد الحليم عويس المعنون بـ " العصبية القومية وأثرها فى سقوط الأندلس " والذى تناول ظاهرة التعصب للعرق خلال العصر الأموي (١٣٨ ـ

٤٢٢هـ / ٧٥٦ / ١٠٢٩م).

رأينا من الضرورة بمكان التصدي لرصد هذه الأفكار، ونتائجها التى ظهرت فى عصر المرابطين، وانتشرت فى عصر الموحدين بدراسة مستقلة بعنوان " النزعة الأندلسية خلال عصري المرابطين والموحدين ٤٨٣ ــ ٦٢٦هـ / ١٠٩٠ ــ ١٢٢٨م دراسة وتحليل ".

وقد جاءت هذه الدراسة فى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

تناولت المقدمة: أهمية الموضوع، وخطة دراسته.

بينما تناول التمهيد:

ــ الأحوال السياسية لعصري المرابطين والموحدين.

ــ عناصر السكان فى المجتمع الأندلسي.

ــ الحياة الثقافية فى الأندلس قبيل المرابطين.

وجاءت مباحثها كما يلي:

- **المبحث الأول: أسباب ظهور وانتشار النزعة الأندلسية.**
- **المبحث الثاني: ظهور فكرة النزعة الأندلسية فى عصر المرابطين.**
- **المبحث الثالث: انتشار فكرة النزعة الأندلسية فى عصر الموحدين.**
- **المبحث الرابع: الآثار والنتائج المترتبة على هذه النزعة.**

وفى الخاتمة: رصدنا أهم النتائج والتوصيات.

ثم أوردنا ثبتًا بأهم المصادر والمراجع لهذه الدراسة.

نتمنى من الله ﷻ التوفيق، والسداد فى هذه المحاولة، لرصد ظاهرة كـــان لها خطورتها، ونتائجها السلبية فى انهيار الأندلس.

والله الموفق،،،

قائمة الاختصارات والرموز

المصطلح	الاختصار
صفحة	ص
جزء	جـ
إلى آخر النص	...الخ
توفي	ت
دكتور	د
طبعة	ط

تمهيد

الأندلس هو صورة مصغرة من الحضارة الإسلامية الكبرى، فيه عاش المسلمون أرقى درجات التقدم والازدهار، وعلى أرضه بلغت الثقافة العربية الإسلامية زرا المجد وعنانه، وفى مدنه وحواضره فتحت آفاق التفكير والإبداع.

ظهور كل ذلك جاء عقب نهاية فترة الفتح وعصر الولاة (٩٢ ــ ١٣٨هـ / ٧١١ ــ ٧٥٦م) فشهدت فترة حكم بني أمية للأندلس (١٣٨ــ ٤٢٢هـ / ٧٥٦ ــ ١٠٢٩م) عصر النهضة الثقافية، وتطور الفكر والإبداع، فنافسوا بالأندلس بغداد العباسيين، ولم يبخلوا فى سبيل تشييد حضارة عربية إسلامية على أرض أوربا حتى أصبح الأندلس قبلة للعلم وأهله.

ومع انهيار دولتهم، وظهور دول الطوائف (٤٢٢ ــ ٤٨٣هـ/ ١٠٢٩ ــ ١٠٩٠م) التى جاوزت العشرين دويلة، ظلَّ أيضًا التقدم مستمرًا حتى تحولت حواضر الدويلات إلى مراكز ثقافية، وقلاعٍ للتنوير، ومجالس للعلماء والشعراء.

ولكن للأسف فالازدهار الثقافي كان يوازيه انهيار سياسي حول الأندلس بكامل دويلاته المفتتة المتطاحنة إلى فرائس سهلة المنال فى يد الإسبان ودوله الناهضة التى تحمل لواء حركة الاسترداد، وهنا كان الاستنجاد من دول الطوائف بإخوانهم مسلمي المغرب خصوصًا، وقد تم توحيد بلاد المغرب تحت لواء دولة المرابطين المجاهدة حينئذ.

أولاً: الأحوال السياسية لعصري المرابطين والموحدين:

أ. دولة المرابطين:

نشأت دولة المرابطين فى بلاد المغرب الأقصى فى بدايات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي على يد الداعية عبد الله بن ياسين [(١)]، ولكن ظهر مجدها على يد القائد يوسف بن تاشفين (٤٥٣ ــ ٥٠٠هـ / ١٠٦١ ــ ١١٠٦م) مؤسس العاصمة مراكش [(٢)]، وهو الذى عبر بجيوش المرابطين من المغرب لنجدة دول الطوائف فى الأندلس؛ فكانت معركة الزلَّاقة [(٣)] التى أنقذت الأندلس من الانهيار فى يد الإسبان، وأعاد توحيد المغرب والأندلس تحت

(١) هو: عبد الله بن ياسين الجزولي، استقدمه إلى بلاد كدالة منشأ المرابطين الأمير يحيى بن إبراهيم، فاستطاع جمع الرجال فى رباط وبهم نشأت دولة المرابطين وتوسعت فى سائر المغرب الأقصى، وظلَّ مجاهدًا حتى توفى يوم الأحد ٢٤ جمادى الأولى ٤٥١هـ / ١٠٥٩م. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٥١ ــ ١٦٨.

(٢) مراكش: هي مدينة أنشأها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بداية من عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م، واسمها يتكون من مقطعين بلغة المصامدة وتعني (مرَّ مسرعًا) لأنها كانت سابقًا مأوى للصوص وقطَّاع الطرق، فصارت عاصمة دولة المرابطين، وطورها خلفاؤه فيما بعد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥ / ٩٤، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٧٥.

(٣) الزلاَّقة: هي موضع بالقرب من قرطبة جرت فيه معركة عظيمة بين المرابطين ومعهم دولة الطوائف والممالك الإسبانية بقيادة ألفونسو السادس حاكم قشالة فى رجب ٤٧٩هـ / أكتوبر ١٠٨٦م، وانتهت بنصر عظيم للمرابطين ومن معهم. ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٠٨.

قيادة واحدة بعد إزاحته لملوك الطوائف، وإخضاع الأندلس لحكم المرابطين.[١]

وقد خلفه ابنه علي بن يوسف (٥٠٠ ــ ٥٣٧هـ / ١١٠٦ ــ ١١٤٣م) الذى سلك طريق الجهاد فى الأندلس، والمحافظة عليه من هجمات الممالك الإسبانية، ولكن فى عهده ظهرت فى المغرب دولة الموحدين. [٢]

ورث الحفيد تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧ ــ ٥٣٩هـ / ١١٤٣ ــ ١١٤٥م) حكم دولة المرابطين، ولكن عقد الدولة كان قد انفرط بفعل صراعهم مع الموحدين، وتشتيت جهودهم ما بين المغرب والأندلس. [٣]

وكما بدأت دولة المرابطين فى المغرب كانت نهايتها أيضًا فى المغرب على يد دولة الموحدين.

ب ـ دولة الموحدين:

بنيت هذه الدولة على أفكار المهدي بن تومرت [٤] الذى قادها دينيًا بينما حمل لواءها الحربي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ ــ ٥٥٨هـ / ١١٣٠ ــ

---

(١) المقري: نفح الطيب، جـ٤ / ٣٥٩ ــ ٣٦٠.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص١٢٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٤ / ١٠٥، د/ حسن أحمد محمود: المرحلة الإفريقية فى تاريخ المرابطين، ص١١٧.

(٤) المهدي بن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل منطقة السوس، قام بدعوته سنة ٥١٥هـ رحل إلى المشرق وادعى لقاءه بأبي حامد الغزالي ثم عاد إلى المغرب وعارض المرابطين بتأسيس دولة الموحدين وتوفى سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م. عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص١٥٥ ــ ١٦٦.

١١٦٢م) وقد استدعى أهل الأندلس الموحدين ليخلفوا المرابطين فى حكم الأندلس. (١)

توالى حكَّام الموحدين على دولتهم فى المغرب والأندلس بعد الخليفة الأول عبد المؤمن؛ فتولى ابنه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ ــ ٥٨٠هـ / ١١٦٣ ــ ١١٨٤م) ثم أعقبه ابنه الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف (٥٨٠ ــ ٥٩٥هـ / ١١٨٤ ــ ١١٩٩م) الذى قاد الموحدين إلى الانتصار على الإسبان فى معركة الأرك (٢) ثم خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الناصر (٥٩٥ ــ ٦١٠هـ / ١١٩٩ ــ ١٢١٣م) وهو الذى تلقى هزيمة العقاب (٣) من الإسبان. (٤)

ويسجل التاريخ أن وفاة الناصر كانت بداية انهيار دولة الموحدين التى

---

(١) مجهول: الحلل الموشية، ١٤٧. ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١٦٣.

(٢) الأرك: هي معركة عظيمة نشبت بين الموحدين بقيادة الخليفة يعقوب المنصور وجيوش مملكة قشتالة فى منطقة الأرك على نهر وادي يانه وسط الأندلس سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م، وانتهت بهزيمة قشتالة فقبلوا كل شروط الموحدين. ابن عذارى: البيان المغرب ــ قسم الموحدين، ص٢١٧ ــ ٢٢٢.

(٣) العقاب: موضع بين جيان وقلعة رباح جرت عنده معركة عظيمة بين الموحدين وجيوش الإسبان فى صفر ٦٠٩هـ / يوليو ١٢١٢م، انتهت بهزيمة كبيرة للموحدين بقيادة محمد الناصر. لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٦٩ ــ ٢٧٠، الحميري: الروض المعطار، ص٤١٦.

(٤) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني ص١٩٧ ــ ٢٥٠.

استمر قيامها فعليًا حتى ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، ولكن فى صراعات داخلية، وعدة أطوار من الانهيار. (١)

أما فى الأندلس فحين انسحب الخليفة الناصر لم يبق له إلا بعض الحاميات؛ لأن المعركة افترست معظم جنوده، وكان ذلك يعني انهيار الأندلس؛ لأن قوتها المساندة دمرت تمامًا. (٢)

كما بدأت تتلاشى هذه الحاميات إلى المغرب للمشاركة فى الصراعات الداخلية التى نشبت بين أمراء الموحدين، فظهرت قيادات محلية كان من أهمها محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة.

ثانيًا: عناصر السكان فى المجتمع الأندلسي:

منذ الفتح الإسلامي بدأ المجتمع الإسباني الذى سيطرت عليه قبائل القوط، تدخل عليه عناصر سكانية جديدة وهم المسلمون العرب القادمون من شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى المسلمين البربر القادمين من بلاد المغرب بعد انتشار الإسلام هناك. (٣)

ومع مرور الزمن ظهر عنصر جديد من السكان وهم: المولدون أبناء المسلمين من أمهات إسبانيات والمسالمة وهم الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام،

(١) د/ أحمد الحفناوي: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ص٢١٩.
(٢) د/ شاكر مصطفى: الأندلس فى التاريخ، ص١٢٦.
(٣) د/ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات فى الأندلس، ص١٥.

فأصبح أبناؤهم مسلمين وظهروا كمكون أصيل فى المجتمع الأندلسي. (١)

كذلك احتفظ كثير من نصارى إسبانيا بدينهم وثقافتهم لفترات من الزمان، ولكن لتزايد وانتشار العناصر الإسلامية القادمة إلى الأندلس، وقوة ثقافتها وحضارتها الناشئة بدأت أعداد الإسبان وثقافتهم تتلاشى، وبدأوا يذوبون فى بوتقة المجتمع الأندلسي، وإن ظلوا عنصرًا موجودًا من عناصر المجتمع. (٢)

إضافة إلى هؤلاء نجد عنصرًا جديدًا أفسح له حكام الدولة الأموية المجال فى الأندلس ليكون عنصرًا مؤثرًا فى المجتمع والحياة السياسية فى الأندلس وهم الصقالبة: وهم رقيق أوربي كان يخصي ويباع، وأصل نشأته فى بلغاريا شرقي أوربا، ثم عم الاسم على سائر رقيق أوربا. (٣)

وقد تزاوجت العناصر العربية والبربرية بالإسبان حتى قيل إن ثلاثين ألف نصرانية تزوجن من عناصر الجيوش الفاتحة فى بدايات الفتح، فأصبحت الأجيال التالية يجري فى عروقها الدم العربي والبربري إضافة إلى الدم الأيبيري واللاتيني واليوناني والقوطي... وغير ذلك، فقد دامت هذه العناصر فى بيئة واحدة قروناً كثيرة. (٤)

ثم كان قدوم الهجرات البربرية مع جيوش المرابطين ثم الموحدين، ولكن

---

(١) د/ جودت الركابي: فى الأدب الأندلسي، ص٣٥.

(٢) د/ لطفي عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا، ص١٧.

(٣) د/ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات فى الأندلس، ص١٥.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٢٦٩.

ظهروا فى هذه المرة كعنصر طارئ على العناصر الأندلسية الممتزجة فيما بينهما، أو على الأقل قريبة الفكر والثقافة وإن احتفظت بنزعتها العرقية، وربما يرجع سبب الاختلاف مع عناصر المرابطين والموحدين إلى التفاوت الثقافي بين الفريقين.

ثالثًا: الحياة الثقافية فى الأندلس قبيل المرابطين:

على عكس الانهيار السياسي الذى شهدته الأندلس بزوال الحكم الأموي، وتحولها إلى عصر دويلات الطوائف (٤٢٢ ــ ٤٨٣هـ / ١٠٣١ــ ١٠٩٠م) كانت الحياة الثقافية تشهد ازدهاراً كبيراً نتج عن تحول العلماء من قرطبة حاضرة الخلافة الأموية إلى مدن الأندلس المختلفة التى أصبحت حواضر دويلات الطوائف.

فقد انتثر عقد الأندلس، وأصبحت أندلسات، أو قل إمارات كثيرة، ففي كل مدينة كبيرة فرد أو أسرة تحكمها، وتنافست هذه المدن، فكل مدينة تريد أن تتفوق على أخواتها فى العلم والفلسفة والأدب، وكل أمير لمدينة يريد أن يظفر بقصب السبق على نظرائه فى السلطان والشؤون المادية والثقافية والفنية، وكأنما أعيدت فى هذه الحقبة سيرة المدن اليونانية القديمة: أثينا واسبرطة وأخواتهما، وما كان بينهما من تنافس هيأ لعصر من أزهى العصور اليونانية فى الفلسفة والفن والعلم والأدب، مما جعل حقبة أمراء الطوائف من أغنى الحقب ثقافياً فى تاريخ الأندلس.(١)

(١) د/ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات فى الأندلس، ص٦٧.

وكان هذا لافتًا للنظر حقًا، حيث إن ممالك الطوائف كانت خلال هذا الانحلال الشامل تبدو فى أثواب لامعة زاهية، وإن لم يكن يسودها النظام والاستقرار دائمًا، فقد كانت فى الفترات التى تجاوزت فيها الحرب الأهلية، تتمتع بقسط لا بأس به من الرخاء، وتغمرها الحركة والنشاط، وكان ملوك الطوائف بالرغم من طغيانهم المطبق، ومن الصفات المثيرة التى كان يتصف بها الكثير منهم، من حماة العلوم والآداب، وإنها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف، أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء، وأن تكون قصورهم منتديات زاهرة، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتَّاب والشعراء الممتازين، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي والفكر الإسلامي بصفة عامة. (١)

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثاني، ص٤٢٣.

المبحث الأول

أسباب ظهور وانتشار النزعة الأندلسية

تعددت الأسباب التى كونت مع بعضها البعض قوة دافعة نحو تغيير الفكر الجمعي لدى سكان الأندلس أو غالبيتهم، وتحول نظرتهم لأنفسهم كجزء من مجتمع إسلامي كبير إلى إحساسهم بالخصوصية والاختلاف عن القادمين من بلاد المغرب، وحاجتهم للتحرر من هذه السيطرة، ومن أهم هذه الأسباب:

١.اختلاف الطباع بين القادمين من المغرب وأهل الأندلس:

الإنسان ابن مجتمعه، يؤثر ويتأثر، وتتبلور صفاته وطباعه فى بيئته الاجتماعية التى عاش فيها، لذا فلاشك أن العوامل الجغرافية والبيئية والسكانية كان لها أثرها الظاهر فى وجود اختلاف كبير فى الطباع بين سكان شطري الغرب الإسلامي، بلاد المغرب والأندلس.

يذكر ابن خلدون فى مقدمته [١]: أن للهواء تأثيراً فى أخلاق البشر وأن السودان الساكنين فى الإقليم الحار قد استولى الحر على أمزجتهم بخلاف سكان الإقليم الرابع، وهم أهل الأندلس، فتأثر كل شعب ببيئته، ومن هنا جاء الاختلاف.

كذلك فإن الحياة التى عاشها أهل الأندلس فى بلادهم تختلف كل الاختلاف عن مجتمع المرابطين الذى يتسم بالشدة والغلظة، وبالرغم من استدعاء أهل الأندلس للمرابطين لتخليصهم من خطر الغزو الإسباني، إلا أن ذلك لا يعني

(١) ص ٧٢ ــ ٧٣.

أنهم زهدوا فى حياة الترف والنعيم التى كانوا يعيشونها زمن الطوائف، وقد ظهر ذلك بعد سيطرة المرابطين على الأندلس، وظهر لأهل الأندلس تقشفهم وجفاوتهم، وظهرت لهم بداوتهم وخشونتهم وبعدهم عن مظاهر الترف التى كانوا ينعمون بها فى ظل ملوك الطوائف. (١)

ومن ناحية المرابطين فقد رأوا ما فى الأندلس من ترف زائد، ومن رجال تركوا الجهاد إلى ملذات الحياة، وعاين يوسف بن تاشفين فى جوازه الثاني إلى الأندلس اختلاف ملوك الطوائف، ودسائسهم ضد بعض حتى أصبح على قناعة تامة بزوال الأندلس حال بقاء ملوك الطوائف، ومافية أهل الأندلس. (٢)

٣.التفوق الحضاري لأهل الأندلس على المغرب:

مما لاشك فيه أن التفاوت الحضاري بين الأندلسيين وبين بربر العدوة المغربية، وإحساس الأندلسيين العارم بخصوصيتهم، وتفوقهم كان له دوره فى بروز قدر من عدم الثقة المتبادل بين الجانبين. (٣)

ذلك لأن عهد ملوك الطوائف، وإن كان من الناحية السياسية مظهرًا لتفكك الوحدة التى صنعتها قرطبة الأموية، فقد كان فى المجال الثقافي من أزهى عصور المسلمين فى الأندلس، إذ أخذ التراث الأندلسي يؤتى أكله فى الشعر والأدب والعلوم العقلية والنقلية والفنون، وتنافس ملوك الطوائف فى

(١) د/ سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ٢ / ١٨٦.
(٢) الأمير عبد الله الزيري: مذكرات الأمير عبد الله، ص١٠٩ ــ ١١٠.
(٣) د/ عبادة كحيلة: المغرب فى تاريخ الأندلس والمغرب، ص٢٤٦.

الأخذ بأسباب الحياة الثقافية، وقد وجدوها من تمام مظاهر السلطان الذى ولعوا به، وحرصوا عليه. (١)

ومن ناحية أخرى فإن يوسف بن تاشفين عندما أقبل بجماله رعب منها الأندلسيون، إذ لم يكونوا قد رأوها قبل ذلك، جمال فى إسبانيا ! لقد تأفرق الأندلس، وأصبح ولاية تابعة للمغرب، وإذا كان قد أتيح له بذلك أن يقيم جبهة أمام النصارى، ويثبتها إلا أن ذلك على المدى الطويل أزكى شعورًا بالاختلاف. (٢)

وبعد أن استتب الأمن فى عهد علي بن يوسف بن تاشفين عاد الأندلس ثانية يستمتع بالحياة، ويهتم بالحفاظ على تأثيره الثقافي، لا فوق أرضه فحسب، وإنما فى بقية مقاطعات سادته الجدد، ويومها عبر مضيق جبل طارق إلى المغرب كثيرون من الأندلسيين، واتخذوا مقامهم بجوار أمير المسلمين، وجعلوا من البلاط البربري الصغير فى مدينة مراكش مركزًا أدبياً مرموقًا، وموطنًا علميًا مشرقًا، جديرًا بأن يقارن بما كان عليه البلاط الأموي المتوهج فى قرطبة العاصمة، وفى عواصم الأقاليم فى شبه الجزيرة، خلال أيام خلت.(٣)

(١) د/ لطفي عبد البديع: الإسلام فى إسبانيا، ص١٠.

(٢) إميليو جاريثا جوميث: الشعر الأندلسي، ص٤١.

(٣) ليفي بروفنسال: الحضارة العربية فى إسبانيا، ص٣١ ــ ٣٢.

وعندما جاء الموحدون إلى الأندلس لم تتغير نظرة أهل الأندلس للمغاربة على أنهم جاءوا كمجاهدين ورجال حرب للدفاع عن الأندلس فى وجه هجمات نصارى الإسبان، وهو ما جعلهم يحتملون كل مسلبة تظهر، ويتغاضون عن كل الأخطاء مهما كانت، ومع ذلك ظل إحساسهم بتفوقهم الثقافي والحضاري، وهو أمر ظاهر، ولكن بعد هزيمة العقاب ودخول الدولة الموحدية طور الانهيار الذى استمر أكثر من نصف قرن بدأت تزول أسباب الإزغان والولاء. (١)

٣.أسلوب الحكام المرابطين والموحدين فى حكم الأندلس:

أحسن المرابطون فى إنقاذهم للأندلس ومساعدته، لكنهم أساءوا إليه ــ بحسن نيتهم ــ لأن بلدًا كالأندلس لا يحكم أبدًا من قوى خارجية، فهي لا تحكم إلا من داخلها، ومن أحد رجالها ومن يعرفها ويعرف طباعها، أما أن يحكم المرابطون كل هذه المساحة الشاسعة، ويرجون الاستمرار فهذا شئ يصعب تصديقه وتصوره، ووددت لو أن المرابطين أنزلوا ملوك الطوائف، ورسموا واحداً منهم لحكم الأندلس وتركوه، وحاولوا مساعدته والوقوف بجانبه حتى يستعيد الأندلس سابق عهده. (٢)

ومن الواضح أن المرابطين وضعوا الأندلس عقب افتتاحها تحت حكم عسكري مطلق، ونزعوا من أبنائها كل سلطة فعلية فى حكم بلادهم، واحتفظوا

(١) د/ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ص٣٤٣.

(٢) يحيى أبو المعاطي: الحواضر الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص٤٤.

للمرابطين بكل المناصب العليا من ولاية وقيادة، وبالرغم من أن أولئك الولاة والقادة المرابطين كانوا على الأغلب رجالاً من ذوى الحزم والبراعة العسكرية، والصفات البدوية النقية، فإنه كان ينقصهم المرونة والكياسة فى حكم أمة متمدنة كالأمة الأندلسية، وكانت أساليبهم العنيفة الخشنة فى ذلك، تجافى ما طبعت عليه الأمة الأندلسية من الأساليب الرفيعة. (١)

وفى معاملته مع ملوك الطوائف أظهر يوسف بن تاشفين قسوة فائقة بالاعتقال والقتل والنفي، ظهر ذلك بجلاء فى التعامل مع المعتمد بن عباد سيد ملوك الطوائف وأشهرهم الذى نفى إلى منطقة أغمات (٢) بالمغرب يذكر عنه ابن الخطيب (٣): " واستقر بأغمات، واقتات من غزل بناته، وجرت عليه خطوب شهيرة، يهون سماعها مصائب الزمان، وحوادث الحدثان ".

وعندما جاء الجيل الثاني بعد يوسف بن تاشفين لم ينهجوا سلوكه فى الزهد والتقشف، بل ترفعوا عن بداوتهم، وصاروا يميلون إلى حياة الدعة والترف، وينفقون على بلاطهم الأموال الباهظة. (٤)

---

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٤٢٩.

(٢) أغمات: منطقة قرب مراكش بالمغرب، تقع على بعد أربعة مراحل من السوس الأقصى وثمانية من سجلماسة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١ / ٢٢٥.

(٣) أعمال الأعلام، ص١٦٤.

(٤) د/ إبراهيم القادري بوتشيش: أثر الأزمة الأخلاقية فى سقوط دولة الإسلام بالأندلس، ص٢٠.

إثر ذلك فقد المرابطون فى الناحية الحربية صفاتهم الذى جعلت منهم جنودًا محاربين، وتراجعت جيوشهم أمام جيوش القشتاليين والبرتغاليين والأرجونيين وهي الممالك الإسبانية المنتشرة حينها، كما أصابهم انهيار خلقي نتيجة استغراقهم فى الترف، واستنامتهم للهو واللذة، ونسيانهم مظاهر الغلظة والجفاء التى فطروا عليها فى الصحراء، فثار عليهم أهل الأندلس وطردوا عمالهم، خصوصًا بعد ظهور دولة الموحدين، وانتشارها فى المغرب، فبايعوا الموحدين خلفاءً للمرابطين. (١)

وقد وقع الموحدون فى الأخطاء نفسها فمنذ البداية اعتمدوا فى حكمهم للأندلس على نواب لهم، ولم يتخذوها مركزاً لسلطانهم، وعسير أن تحكم الأندلس بهذه الصورة.(٢)

وبعد نكبة الموحدين فى موقعة العقاب ٦٠٩هـ / ١٢١٢م تحولت القوى والزعامات الموحدية التى بقيت فى الأندلس إلى الاشتغال بمشاريعها الخاصة، وأطماعها فى عرش مراكش الذى أحاقت به الخلافات والفتن، عن الاهتمام بقضية الأندلس، أو التفكير فى مدافعة أعدائها المتربصين بها أعني النصارى الإسبان، بل كانت بالعكس تصانع أولئك الأعداء، وتستمد عونهم، وتقطعهم ما بيدها من حصون الأندلس وأراضيها، فكان الحكم الموحدي للأندلس فى نهايته قمة الاضطرابات والفوضى، ولم تكن ثمة حكومة موحدة. (٣)

---

(١) د/ السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص٢٠.

(٢) د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٤ / ٧٥.

(٣) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٦٤٣.

٤.الحجر على الفكر ومطاردة علماء الأصول والفلاسفة وغيرهم:

قدم المرابطون إلى الأندلس بثقافتهم الجهادية المنبثقة من بعض العلوم الدينية التى تعلموها فى الأربطة، وعلى يد علماء الفروع، وفقهاء المالكية تحديدًا، وهذه هي الثقافة السائدة حينها فى بلادهم، وعندما جاءوا إلى الأندلس اصطدموا بعلوم شتى رأوها مخالفة لفكرهم، ولرؤية علمائهم، فأمعنوا فى إزالتها، وليس فهمها والتعامل معها، مما أثار كراهية علماء الأندلس، وهم رموز العلم فى عصرهم.

فكان الحجر على حرية الفكر من أسوء صور الحكم المرابطي المطلق، ونحن نعرف ما عمد إليه أمير المسلمين علي بن يوسف، بتحريض من فقهائه، من مطاردة كتب الأصول، وفى مقدمتها كتب الإمام الغزالي، ولاسيما كتاب " إحياء علوم الدين " وقد لبثت هذه المطاردة طوال العهد المرابطي. (١)

يذكر ابن القطَّان صورة إحراق كتاب " الإحياء " فيقول (٢): وفى أول عام ثلاثة وخمسمائة (١١٠٩م) عزم علي بن يوسف على إحراق "الإحياء" فأحرق فى رحبة مسجد قرطبة على الباب الغربي على هيئته بعد إشباعها زيتًا، وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمرًا بإحراقه حيثما وجد.

---

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٤٣١.

(٢) نظم الجمان، ص٧٠ ــ ٧١.

ولم ير المفكرون فى رجوع السلطة إلى أيدي الفقهاء المتعصبين ما يبعث على التفاؤل، فقد كان هؤلاء أصحاب الرأي والمشورة عند المرابطين. (١)

وعلى غرار الدولة المرابطية كان الموحدون، فهم جميعاً ينتمون إلى البيئة نفسها مع اختلاف فى الأفكار التى بنىَّ عليها نظام الحكم.

ففي العصر الموحدي وحتى فى أزهى فتراته الفكرية فى عهد المنصور الموحدي نجد نكبة الفيلسوف ابن رشد (٢) صاحب الحظوة فى البلاط الموحدي أعواماً طويلة، ولكن الفقهاء والطلبة الموحدين الذين ضاقوا زرعاً بتفكيره الديني والفقهي المستنير، وبحوثه الفلسفية الرفيعة، عملوا على مناورته، والوشاية به لدى الخليفة المنصور، واتهامه بالانحراف والمروق، وانتهى المنصور، بالرغم مما كان يكنه لابن رشد من التوقير والتقدير أن ينزل عند تحريضهم، وأن يصدر قراره الشهير بمحاكمة الفيلسوف وبعض زملائه وتلاميذه، وأن يقضي بنفيه إلى بلده "إليسَّانه" وهي على مقربة من غرناطة

---

(١) د/ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص٧٠ ــ ٧١.

(٢) ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ولد سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م بقرطبة، وأخذ العلم على يد كبار علماءها كابن زهير وابن طفيل، تولى المناصب للموحدين حتى نكبة المنصور ثلاثة أعوام ثم أعاده، وتوفى فى صفر ٥٩٥هـ / ديسمبر ١١٩٨م. عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٠٣، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٥ / ٢٢٦، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٧٢٠ ــ ٧٢٣.

سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م، وصدر إلى جانب ذلك بياناً للمنصور بالحملة على ابن رشد وزملائه، واتهامهم بالمروق والزيغ. (١)

وبلاشك فإن هذه الأحداث مع رموز من علماء الأندلس، أحدثت نوعًا من السخط، لدى مفكري الأندلس ومثقفيها وهم كثير، بل وأكثر العامة الذين يعرفون جيدًا قدر هؤلاء العلماء فى مجتمع ازدهرت فيه شتى العلوم والفنون، ولم يعتد الحجر على الفكر، وتحجيم المعارف والكتابات، وإرهاب المفكرين وتخويفهم.

٥.طور الضعف الذى لحق بدولتي المرابطين والموحدين:

يذكر عبد الواحد المراكشي فى كتابه " المعجب " ما يلخص به حال المرابطين فى نهاية دولتهم فيقول (٢): " فى آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف، اختلت أحوالها احتلالاً مفرطًا، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم، وميلهم إلى الدعة، وإيثار الراحة، وطاعة النساء، فهانوا على أهل الجزيرة، وقلوا فى أعينه، واجترأ عليهم العدو، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم، وكان أيضًا من الأسباب قيام ابن تومرت، واشتغال علي بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة ".

---

(١) المقري: نفح الطيب، جـ٣ / ١٨٦، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٧٢٢.

(٢) ص١٧٧.

وبالرغم من أن العبارات السابقة صادرة من المراكشي المتوفى فى القرن السابع الهجري زمن الدولة الموحدية، فعاش فى كنفها وكتب تاريخهـــا إلا أن عباراته بها كثير من الحقيقة.

نضيف إليها الحملة العنيفة التى قادها المهدي بن تومرت ضد المرابطين، وصورهم على أنهم خوارج عن الإسلام ركنوا إلى البذخ والرقة وأباحوا ذيوع الخمر والفسق، وكانت مظاهر العاصمة المرابطية وقتئذ تؤيد ذلك، ولذلك فإن هذا الدور لابن تومرت كان أخصر الأدوار فى القضاء على هيبة ســلطانهم، وضياع مجدهم. (١)

فالمرابطون فى غمرة الحياة الجديدة فقدوا الصفات التى جعلــت مــنهم رجال جهاد مظفرين، مما جعــل حــال جــيش المــرابطين فــى الأنــدلس يتدهور،وأدى تراخي المرابطين فى الدفاع عن الثغور الإسلامية إلى ضــعف الدولة المرابطية. (٢)

وهو ما شجع العناصر المعارضة فى الأندلس على الثورة فى شتى المدن يقودهم القضاة والعلماء والأدباء وأصحاب الفكر من أهل الأندلس، يظهــرون النزعة الأندلسية، إلا أنَّ قواهم كانت أقل من أن تقــف فــى وجــه الممالــك الإسبانية، لذا بايعوا الموحدين فى المغرب.

أما الموحدون ففي نهايــة عهــدهم، ودخــولهم فــى طــور الضــعف

(١) د/ أحمد الحفناوي: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ص١٣٦ ــ ١٣٧
(٢) د/ محمد عوادت وآخرين: تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٤.

والانهيار، وهو ما أعقب هزيمة العقاب، وظهور الشقاق بين العادل [١] وأخيه المأمون [٢]، مما كان له أعمق وقع، وأبعد صدى فى الأندلس، ولم يقتصر الحكم فى ذلك على تصدع أركان الحكم الموحدي، بل كان أن اهتزت الأندلس من أقصاها إلى أقصاها لهذه الأحداث الخطيرة، ونهضت من سباتها الطويل الذى فرضه عليها الحكم الموحدي زهاء ثمانين عامًا، وأخذت تضطرم بسلسلة جديدة من الفورات، كانت مع الأسف حركات متناثرة متنافسة متخاصمة، تفرق بينها الأطماع الخاصة، وإن كانت تجمع بينها رابطة الغرض المشترك، وهو تحرير الأندلس من نير الموحدين، وحمايتها من عدوان النصارى. [٣]

ومن هنا انتشرت فكرة النزعة الأندلسية، وضرورة الاعتماد على الزعامات المحلية بدلاً من القادمين من المغرب.

---

(١) العادل: هو الخليفة العادل بن المنصور بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، بويع بمرسية فى صفر ٦٢١هـ / فبراير ١٢٢٤م وتوفى فى شوال ٦٢٤هـ / سبتمبر ١٢٢٧م، اختلف عليه أخوته وجرت بينهم وقائع. ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٠ ــ ٢٧٤.

(٢) المأمون: هو الخليفة أبو العلا إدريس بن يعقوب بن المنصور بويع فى شوال ٦٢٤هـ / سبتمبر ١٢٢٧م، وتوفى فى ذى الحجة ٦٢٩هـ / سبتمبر ٢٣٢م، وكان ثائرًا على أخيه العادل. ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٤ ــ ٢٧٦.

(٣) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٣٨٩.

٦. ظهور الزعامات المحلية فى الأندلس:

دائمًا ما تحتاج الأفكار إلى من يقود معتنقيها للتنفيذ على أرض الواقع، وإن لم تجد من يتبناها، ويتقدم الصفوف فستموت فى مهدها، وتتحول إلى أحلام يقظة.

وهذه النزعة الأندلسية التى ظهرت فى عصر المرابطين، ثم انتشرت فى عصر الموحدين لو لم تجد المناخ المناسب ثم من يؤمن بها، ويقود أهل الأندلس فى هذا الاتجاه، لربما تغير مسار التاريخ، وأصبحت الأحداث على خلاف ما جرى.

ومن اللافت للنظر فى ثورات الأندلسيين ضد الحكم المرابطي فى نهايته، أن قادة هذه الثورات لم يكونوا من قادة الجند أو زعمائها، وإنما جلهم أو معظمهم من القضاة أو الفقهاء، ويبدو أن ذلك يرجع إلى المكانة التى تمتع بها هؤلاء فى ظل الحكم المرابطي، حتى تركزت فيهم عناصر الزعامة المحلية، التى كان يتمتع بها فى السابق القادة والأمراء الذين انهار سلطانهم، وبعد إحساسهم بضعف المرابطين حاولوا إشعال الثورات المحلية فى المدن التى عرفت نشاطهم، وتولوا زعامتها، لكي يحتفظوا بسابق رياستهم، وليستردوا سلطانهم المحلي. (١)

(١) د/ عصمت دندنش: الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٩٥.

وكما يذكر المقري [١]: أن هؤلاء الثوار استغلوا اشتغال المرابطين بحروبهم مع الموحدين فى المغرب فعم الاضطراب أرجاء الأندلس.

بيد أنه كان من الواضح أن تحقيق غايتهم فى التخلص من الحكم المرابطي يرتبط أشد الارتباط بمسألة الانضواء تحت لواء الدولة الجديدة الغالبة فى المغرب، وهي دولة الموحدين، وأن هذا الانضواء كانت تمليه ضرورة الموقف، وبواعث المصلحة القومية ذاتها. [٢]

لذا اتجهت زعامات الأندلس التى قادت الثورات إلى المغرب جموعًا وفرادى تباعًا يعلنون مبايعة مدن الأندلس لعبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين. [٣]

أما الموحدون فقد شجعت حالتهم بعد هزيمة العقاب بعض الرؤساء والقادة المغامرين على الاستقلال بحكم بعض مدن الأندلس، بغية إنقاذها من تلك النكسة التى حلت بها، فتكونت بذلك فترة طوائف ثالثة أو رابعة. [٤]

وبدأت الزعامات المحلية الأندلسية كل منهم يحاول اجتذاب أكبر عدد من المدن لسلطانه، فالموحدون انهارت دولتهم فى الأندلس، وأضحت إلى زوال فى المغرب، وممالك الإسبان كشرت عن أنيابها؛ لاقتطاع كل ما تتمكن منه من كبريات مدن الأندلس، أما الزعامات المحلية فحملت راية القومية الأندلسية محاولة الاحتفاظ بأي قدر من دولة الإسلام فى الأندلس.

---

(١) نفح الطيب، جـ١ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص٣٠٦.

(٣) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٦.

(٤) د/ أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص٢٢٨.

المبحث الثاني

ظهور النزعة الأندلسية فى عصر المرابطين

عاش المسلمون فى الأندلس انتماؤهم فى الأساس للدين الإسلامي ثم للدولة الأموية صاحبة البيعة والشرعية المستمدة من الدين، حتى كانت الفتنة البربرية وسقوط الدولة الأموية، وبدأ ظهور الصراعات ومنها الصراعات العرقية، ومع ذلك لم تظهر فكرة النزعة الأندلسية.

فمنذ استصراخ أهل الأندلس وملوكهم بالمرابطين ــ إخوانهم فى الدين ــ لم يكن لهذه الفكرة ظهور واضح على الساحة الأندلسية، فقد كان الاهتمام ينصب على بقاء الأندلس فى أحضان الإسلام والمسلمين.

وعند بداية الصراعات وفى أثنائها قام أهل الأندلس بدور بارز فى مساعدة المرابطين ضد ملوك الطوائف عند تحالفهم مع النصارى، فلم تظهر أيضًا هذه الفكرة البغيضة التى تخلق عداوات داخلية بين المسلمين، والتى أدى ظهورها إلى تفتيت الوحدة التى خلقت بين المسلمين فى المغرب والأندلس تحت ظل الحكم المرابطي.

ومعنى ذلك أن ظهورالنزعة الأندلسية قد مرَّ بعدة مراحل، ولم يكن ناتجًا عن حدث عارض، أو فكرة عابرة، وهذا ما نحاول رصده:

أولاً: طبيعة الاندماج بين شطري الدولة المرابطية (المغرب والأندلس):

كانت دولة المرابطين حين بلغت أوجها أكبر دولة أقامها البربر فى

المغرب والأندلس، ولم تكن توسعات هذه الدولة عسكرية فقط، ولكنها كانت أيضًا موجة بشرية من الهجرة، وتحركًا بدويًا صحراويًا باتجاه المناطق الحضارية الغنية، وكان هذا يعني بالنسبة للأندلس الكثير، فقد انتقل مركز الاهتمام السياسي إلى المغرب، وجرى نوع من التبادل السكاني بينه وبين الأندلس، ففي حين كان تحرك الشعراء والمثقفين والمطلعين إلى المناصب وجموع العلماء والموظفين تتجه نحو مراكش، كانت جموع مقابلة من الراغبين فى هناء العيش والخصب والحضارة الرفيعة تتجه نحو الأندلس فى حركة مقابلة، مما أوجد فى الحركة بين القطرين نشاطًا ملحوظًا قويًا. (١)

على أنه مما لاشك فيه أن التفاوت الحضاري بين الأندلسيين والمرابطين، وإحساس الأندلسيين العارم بخصوصيتهم، وتفوقهم الثقافي، كان له دوره فى بروز قدر من عدم الثقة بين الجانبين. (٢)

وبذلك يكون ناتج الاندماج بين المغرب والأندلس مكوناً من شقين، أولهما: سياسي، وكان الغلبة فيه للمغرب فحكم المرابطون الأندلس، وثانيهما: ثقافي بين الثقافة الأندلسية القائمة على ازدهار قديم، ورخاء اقتصادي وفكري، وبين ثقافة مرابطية قادمة من صحراء المغرب قائمة على مبدأ واحد، وهو الجهاد، ثقافة تخطو أولى خطوات المعرفة والاحتكاك بأحد أهم مراكز ثقافة العالم (بلا مبالغة) فكانت الغلبة والظهور للثقافة الأندلسية.

---

(١) د/ شاكر مصطفى: الأندلس فى التاريخ، ص٩٥ ــ ٩٦.

(٢) د/ عبادة كحيلة: القطوف الدواني، ص١١٩.

ثانياً: الأندلس فى عصر يوسف بن تاشفين وتحمل المثالب فى سبيل تجنب السقوط:

تواترت رسل الأندلس من كل الثغور على يوسف بن تاشفين، مجهشين بالبكاء، ناشدين الله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيسمع إليهم، ويصغى لقولهم، وترق نفسه لهم، ثم جاءت رسل المعتمد بن عباد فأكرم مثواهم، واستمرت المفاوضات والمراسلات حتى عبر يوسف بن تاشفين فى منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ / ٣٠ يونيو ١٠٨٦م وامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين.(١)

فكان نصر الزلاقة العظيم، ومن أهم نتائجه ؛ أن جعل أهل الأندلس وأمراءها ينظرون للمرابطين بعين الهيبة والإجلال، فاستقرت هيبتهم فى نظر أهل الأندلس، وفى نظر النصارى على السواء. (٢)

ثم جاز بعدها يوسف بن تاشفين بجموع المرابطين فأزاح ملوك الطوائف، وقد اكتملت دوافعه باستصراخ أهل الأندلس، وفتاوى الفقهاء. (٣)

وقد رضى جمهور الأندلسيين ــ إلى حين ــ عما آلت إليه البلاد بعد عودة المرابطين إليها، فقد أمنوا على أرواحهم وأموالهم، واستتب الأمن وساد الهدوء، وخضع الناس للقانون، وهزم النصارى، وانكمشوا فى حصونهم، بعد

(١) المقري: نفح الطيب، جـ٤ / ٣٥٩ ــ ٣٦٠.
(٢) محمد إبراهيم زغروت: الجيش فى عهدي المرابطين والموحدين، ص٢٧٥.
(٣) الأمير عبد الله الزيري: مذكرات الأمير عبد الله، ص١٠٨ ــ ١١٣.

أن كسرت شوكتهم، وركبهم الرعب بعد ما أصابهم على أيدي المرابطين، لكن قلة من عظماء الأندلس والمثقفين لم يرضوا عن حكم المرابطين فإنهم رأوا فيهم جفوة وخشونة وجهلاً ينأى بهم عن فهم ما برع فيه الأندلسيون من شعر وأدب. (١)

وقد عزَّزَ ذلك أن الحكام المرابطين بالأندلس، لم يبدو حزمًا كافيًا فى قمع طغيان الجند والعبيد التابعين لهم، وأن هؤلاء كانوا يرتكبون ضد أبناء الشعب الأمنين، ضروبًا مثيرة من التعدي والأذى. (٢)

أضف إلى ذلك ما تعامل به المرابطون من خشونة زائدة، وتنكيل مع ملوك الطوائف، يوضحها ما جرى للمعتمد بن عباد ونفيه إلى أغمات، وحبسه بها إلى أن مات فى الأصفاد، وما جرى لزوجته وأبنائه وبناته من سبى وتشريد وقتل. (٣)

وأذكت مأساة بني عباد فى الوقت نفسه دولة الشعر فى الأندلس، ونظم أكابر شعراء العصر فى رثاء دولتهم، والتوجع على أيامهم، طائفة من القصائد المؤثرة، التى تحتفظ حتى اليوم بكل روعتها وحياتها، فكانت مأساة المعتمد بن عباد مأساة من أروع المآسي الملوكية، ومازالت، بالرغم من كر العصور،

---

(١) د/ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص١٧٩.

(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٤٣٢.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص١٦٤. د/ عبادة كحيلة: الطوائف ودورها فى ضياع الأندلس، ص١٠٦.

بألوانها المشجية، وقد أثارت عطف الرواية الإسلامية وتأثرها البالغ، ويبدو هذا العطف بنوع خاص فى روايات مؤرخي الأندلس والمشرق، وفى كثير منها يصور المعتمد شهيد القسوة والعسف، ومنها ما يشدد الحملة على يوسف بن تاشفين، ويصفه بأقصى الصفات. (١)

وهذه الصورة الأدبية تصف لنا بداية الفجوة والتحول فى العلاقة بين المرابطين وأهل الأندلس، فبالرغم من الحاجة الماسة إلى التواجد المرابطي على أرض الأندلس، إلا أن هذه القسوة الزائدة والمعاملة الجافة زرعت شقاقًا فى النفوس روته الأيام والأحداث التالية.

ثالثًا: علي بن يوسف وعصر دولة الفقهاء:

عندما توفى يوسف بن تاشفين قام بالأمر بعده ابنه علي بن يوسف؛ فجرى على سنن أبيه فى الجهاد ومدافعة النصارى وحماية البلاد، وكان ورعًا زاهدًا، أحاط نفسه بالفقهاء ورجال الدين، فعظم شأنهم فى عهده، إلا أن إقباله على الدين وعلومه جعله يهمل شؤون دولته، ويتراخى فى إدارتها، فاختل حالها، وفقد المرابطون فى الناحية الحربية صفاتهم التى جعلت منهم جنودًا محاربين. (٢)

وقد سيطر الفقهاء على زمام الحياة الثقافية فى عهد علي بن يوسف، فظهرت الفتاوى بإحراق كتب الإمام الغزالي ومنها " إحياء علوم الدين " كما

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثاني، ص٣٦٠، ٣٦٤

(٢) د/ السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص٢٠.

ذكرنا فى المبحث السابق، وغيره من كتب لا تتسق وفكرهم، فحاربوا كل من خالفهم ومنها كتب الأصول، وظهر التضييق على ألوان الثقافة التى تمتعت به الأندلس طيلة قرون مضت.

ومن الواضح أن هذه المطاردة الفكرية لم تكن تقف عند كتب الأصول وكتب الغزالي، ولكنها كانت تشمل سائر المصنفات الكلامية والفلسفية التى تنكرها التعاليم المرابطية، وغيرها مما يصفونه بكتب البدعة. (١)

ومع هذا فإن هناك حملة تعرض لها المرابطون استغلت هذه الأفعال ضدهم، وتحاملت عليهم، وذلك لأنهم لم يفعلوا أكثر من توجيه هذه الدراسات إلى وجهتهم الخاصة، دون أن يكون لهذا الحجر نتائج سلبية كتشريد الفلاسفة مثلاً أو قتلهم، كما حدث لأمثالهم فى بلاد أخرى. (٢)

وهنا يجب أن نقف عند نقطتين، أولاهما: أن هؤلاء الأدباء والفلاسفة وسائر المثقفين هم الطبقة المشكلة لوعي الأمة فى الأندلس، وقادة الفكر فى المجتمع.

(١) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٤٣٢.

(٢) د/ أحمد الحفناوي: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ص١٣٦ ــ ١٣٧

وثانيهما: أن هؤلاء هم أصحاب الدواوين، وكبار موظفي الدولة، وأرباب القلم، فهم أيضًا من المشاركين والمطلعين على كافة أسرار الدولة المرابطية فى الأندلس.

وليس معنى قبولهم بالعمل فى دواوين الدولة المرابطية، واستسلامهم للأوضاع العامة، أنهم راضون عن الأحداث، مساندين للدولة.

فلا ريب أن كثيرًا منهم لم يجدوا أنفسهم يتبؤون المكانة الجديرة بهم، ووجدوا أنهم غير مطمئنين إلى وجودهم وسط الفقهاء المتعصبين والجند الغلاظ، وأدركوا أن حاشية الأمراء الأندلسيين كانوا شيئًا يخالف كل المخالفة ما أصبحوا يعيشون معهم اليوم. (١)

وعلى الجهة الأخرى، وفى عهد علي بن يوسف كان ظهور الموحدين، وانتشار دعوتهم على يد المهدي بن تومرت الذى نجح فى إشعال حملة تشهر بالمرابطين، أشد النواحي حساسية وتأثيرًا، وذلك حينما صور المرابطين بأنهم كفار خوارج على شريعة الإسلام، وأنهم قد ارتكبوا كثيراً من المناكر المثيرة، من إباحة للمحرمات، من زيوع للخمر، والفسق، واغتصاب أموال الناس بالباطل، وغير ذلك مما كانت مظاهر العاصمة المرابطية، وأحوال الدولة المرابطية والمجتمع المرابطي تؤيده فى ذلك الوقت بصفة فعلية، وقد استمرت هذه الدعاية الملتهبة التى شهرها المهدي ضد المرابطين طوال حياته، واستمرت من بعده، وحتى بعد أن سقطت الدولة المرابطية ومحيت آثارها،

(١) رنيهرت دوزى: المسلمون فى الأندلس، جـ٣ / ١٥٩.

وكان لها أبلغ الأثر فى القضاء على هيبة المرابطين وسمعتهم بصفة نهائية.(١)

ولما اتخذت الأحداث فى المغرب خطها ضد المرابطين فقد كان لهـا ــ دون أدنى شك ــ رد فعل فى الأندلس، فقامت ثورات هنا وهناك ضد السيطرة المرابطية، وعجز المرابطون عن دحر النصارى فى غزواتهم داخل الأندلس، وانبعثت فكرة القومية لدى الأندلسيين، وأصبحوا يرون فى المرابطين قومًـا أفقدوهم استقلالهم وحريتهم، بعد أن رأوا فيهم قبل ذلـك متقـذين لوجـودهم هناك.(٢)

ومما زاد الأمر صعوبة وتعقيدًا أن الحكم المرابطي فى الأندلس أخـذت تشتد وطأته شيئًا فشيئًا، ولاسيما مذ بدأ اضطراب أحوال الدولـة المرابطيـة بالمغرب على إثر ظهور المهدي بن تومرت، واشتداد حركته فى أواخر عهد علي بن يوسف، فعمد الحكام المرابطون إلى تشديد قبضـتهم فـى مختلـف القواعد، واشتدوا فى معاملة الأندلسيين، وكان أخص مظاهرها ثورة قرطبـة التى اضطرمت ضد المرابطين سنة ٥١٤هـ / ١١٢١م، ودلت بعنفها علـى حالة الأندلسيين النفسية، وما يضمرونه من بغض للحكم المرابطي ووسـائله، وكان انشغال حكومة مراكش بحركة المهدي، وتضاؤل رقابتها على شـؤون الأندلس، عاملاً له أثر فى ازدياد مثالب الحكم المرابطي بالأندلس، وترك حبله على الغارب إلى الحكام المحليين، وكان من أثر ذلك أن ازداد سخط الشـعب

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٤٢٧.

(٢) د/ أحمد الحفناوي: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ص١٧٠.

الأندلسي وحفيظته، وشعوره باقتراب الفرصة السانحة للتحرر من نير حكم أجنبي، أضحى يرهقه، وأضحى يتوق هو إلى تحطيمه. (١)

رابعًا: تاشفين بن علي وانهيار دولة المرابطين فى الأندلس:

ورث الأمير تاشفين بن علي بن يوسف دولة المرابطين وهي تترنح تحت وطأة ضربات الموحدين فى المغرب، ولم تنفعهم فى الأندلس الشدة والغلظة التى عاملوا بها الأندلسيين، والتكميم والمطاردة والإقصاء التى عاملوا بها المثقفين، بل إنهم بعدم فهمهم للمجتمع الأندلس وطبيعته المختلفة وما واكبه من أسباب فصلناها فى المبحث السابق خلقوا جبهة مناوئة لهم فى الأندلس، كمثيلتها التى يقودها الموحدون فى المغرب.

وبدأت فكرة النزعة الأندلسية التى ظهرت فى عقول المثقفين ووعيهم تخرج إلى العلن، وتعم سائر هذه الطبقة، ومنها إلى طبقة عوام الأندلس لتتبلور بعدها فى شكل ثورات هنا وهناك تستهدف التخلص من الحكم المرابطي.

ومن الغريب أن يستمر المرابطون فى نفس النهج وقد ثبت فشله، فهاهو منشور صادر من ديوان الإنشاء المرابطي فى أيام تاشفين بن علي ابن يوسف مؤرخ بالعاشر من جمادى الأولى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م على وجه التحديد إلى أهل بلنسية، يقدم إليهم فيه توجيهات دينية وإدارية، وينص على إحراق كتب أبي حامد الغزالي، وفرض مذهب الإمام مالك والتعصب ضد ما سواه، وقد

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٤٣٣.

ورد فى الكتاب ما نصه [1]: " واعلموا ــ رحمكم الله ــ أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى فى الحضر والبدا، على ما اتفق عليه السلف الصالح ــ رحمهم الله ــ من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه، فلا عدول لقاضٍ ولا مفتٍ عن مذهبه، ولا يأخذ فى تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه، واتبع هواه، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة، وخاصة ــ وفقكم الله ــ كتب أبي حامد الغزالي، فليتتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها ".

وهذه العبارات توضح لنا ما آلت إليه الثقافة الأندلسية برحابتها من تضييق من أصحاب هذا الفكر المنغلق الذى اقتصر حتى فى الفقه على المذهب الأوحد وأقصى ما سواه، وفى الثقافة على رؤيتهم دون سواها، وفى الفكر على أفكارهم الصحراوية دون غيرها، فما بالنا وثقافة المرابطين بحالها هذا يريدون فرضها على حضارة الأندلس ومثقفيها.

لذا فلا ريب أن أصحاب الوعي ومشكليه فى الأندلس كانوا ينتظرون لحظات تهاوى دولة المرابطين؛ ليتنفسوا هواء الحرية الثقافية، وقد تاقت نفوسهم إلى ثقافتهم الأسيرة لدى فقهاء المرابطين وحكامهم.

---

(١) د/ حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ص١٠٦ ــ ١١٣.

وقد تحققت هذه الأمنيات فعلى الجبهة المغربية لقى الأمير تاشفين ابن علي مصرعه فى منطقة وهران [١]، بعد أن سقط بفرسه " ريحانة " فى حافة عظيمة فاندق عنق الفرس، ومات تاشفين من ذلك فى ليلة سبع وعشرين شعبان من عام تسعة وثلاثين وخمسمائة ٢٢ فبراير / ١١٤٥م. [٢]

وكان هذا إيذانًا بزوال دولة المرابطين؛ حيث خرجت فى الجبهة الأندلسية ثورات المدن يقودها القضاة والأدباء تغذيها النزعة الأندلسية التى تنادي بالخلاص من حكم المرابطين، وجفاوتهم فى الثقافة والمعاملة.

(١) وهران: مدينة من مدن المغرب، بينها وبين تلمسان مسير ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها يعملون بالتجارة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥ / ٣٨٥.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٥ / ٢١.

المبحث الثالث

انتشار النزعة الأندلسية فى عصر دولة الموحدين

انهارت دولة المرابطين سريعًا أمام ضربات الموحدين فى المغرب، وقد انعكس هذا على الأندلس، حيث ثارت المدن الأندلسية بقيادة قضاتها وعلمائها على بقايا جيوش المرابطين وحكامهم، ولكن الأندلس لم تكن مهيئة لتحمل مسئولية الدفاع عن نفسها أمام خطر الممالك الإسبانية المترقبة، وسنتتبع فى النقاط التالية الأحوال التى مرت بها فكرة النزعة الأندلسية فى عصر الموحدين.

أولاً: دخول الأندلس فى طاعة الموحدين:

كان أول ظهور للدعوة الموحدية فى الأندلس فى السابع عشر من ربيع الأول ٥٣٩هـ / ١١٤٤م على يد أهل ميرتلة [١]، ثم خالفت بعد ذلك طلياطة [٢] على المرابطين. [٣]

وبدأت تتوافد على عبد المؤمن وفود الأندلس، وكان أول الوافدين وفد إشبيلية لذا اعتنى بها الموحدون فى مدتهم، وصيروها حاضرتهم بالأندلس، ثم

---

(١) ميرتلة: هي مدينة بغرب الأندلس تقع شرقي مدينة باجة بينهما أربعون ميلاً، وهي على نهر آنة، وبمقربة من شاطئ البحر. الحميري: الروض المعطار، ص٥٦٩.

(٢) طلياطة: ناحية بالأندلس من أعمال منطقة استجة قريبة من قرطبة عاصمة الأندلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤ / ٣٩.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٤ / ١٠٥.

أرسل عبد المؤمن جيشاً إلى الأندلس، وبدأ فتح الموحدين للأندلس والذى استمر قرابة خمس سنوات فقط بسبب كراهة أهل الأندلس للمرابطين، الذين أصابهم فى آخر عهدهم الاضمحلال من جراء مظاهر الترف والاستهتار، ومن جراء حروبهم مع الموحدين فى المغرب. (١)

وجه عبد المؤمن جهوده فى السنوات التالية لمد سيطرته على بلاد الأندلس، ومع اختلال أمر المرابطين هناك، إلا أنه واجه أيضًا صعوبات من الثوار المتغلبين على مدنها، والذين كانت طاعتهم له قلقة فضلاً عن حملات النصارى ومحاولاتهم المستمرة للاستفادة من الصراعات الدائرة بين الموحدين والمرابطين وثوار الأندلس، وبعد أن هدأت الأحوال عبر عبدالمؤمن إلى الأندلس، ومكث فترة رتب فيها أمور الأندلس، ووفد عليه وجوه الأندلس للبيعة، واجتمع له من وجوه البلاد ورؤسائها وأعيانها من العدوة والأندلس مالم يجتمع لملك قبله، ثم عاد إلى المغرب. (٢)

ثانيًا: عصر قوة الموحدين وخمول النزعة الأندلسية:

تعاقب على كرسي خلافة الموحدين بعد الخليفة الأول عبدالمؤمن بن علي وذلك فى الفترة من سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م وهي السنة التى مات فيها عبدالمؤمن بن علي حتى سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م وهي السنة التى مات فيه الناصر ثلاثة من الخلفاء هم على الترتيب: يوسف بن عبد المؤمن ثم ابنه أبو يعقوب المنصور، ثم ابنه محمد الناصر، وهم يمثلون عصر قوة الدولة الموحدية. (٣)

---

(١) مجهول: الحلل الموشية، ص١٤٧. د/ علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس، ص٢٨٩.

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص١٧٩ ــ ١٨٠.

(٣) د/ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية فى الأندلس، ص٧٠ -.

وفى تلك الحقبة التاريخية استطاع الموحدون بسط سلطانهم على الأندلس، والتصدي لهجمات الممالك النصرانية الطامعة، وكانت موقعة الأرك الشهيرة ٥٩١هـ / ١١٩٥م شاهدًا على هذا العصر، وهو ما جعل الأندلس تنضوى تحت لوائهم، وتعلن الولاء لحكامهم، عدا منطقة شرق الأندلس التى تأخر ولاؤها زهاء ربع قرن من الزمان.

حيث كانت الثورة فى شرق الأندلس تسييرها منذ البداية فكرة قومية عميقة، هي الفكرة القومية الأندلسية الخالصة، فكانت تضصرم ضد المرابطين والموحدين معًا بنفس العنف والإصرار، وكانت العوامل الجغرافية والعسكرية، تشد من أزرها، وتضاعف مقدرتها على المقاومة، فكانت قواعدها الرئيسة بعيدة عن متناول الجيوش الموحدية، إضافة إلى اتصالها بملوك النصارى ومحالفتهم والاستنصار بهم، وثمة عامل آخر فى استفحال الثورة وصمودها فى شرقي الأندلس، هو انحصار زعامتها وتركيزها مدى أعوام طويلة، فى شخصية واحدة قوية، كانت تجتمع حولها خيوط المقاومة، وكان يحدوها إيمان عميق بفكرة القومية الأندلسية هي شخصية محمد بن سعد بن مردنيش [١]، أعظم ثوار الأندلس ضد الموحدين. [٢]

---

(١) ابن مردنيش: هو محمد بن سعد بن محمد بن مردنيش أبو عبد الله الجزامي، ولد بقلعة بنشكله فى طرطوش، وكان والده واليًا للمرابطين على إفراغة، كان = = صهرًا لابن عياض الثائر بشرق الأندلس ثم خلفه وزاد حتى ملك شرق الأندلس سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م وكانت وفاته فى رجب ٥٦٧هـ / مارس ١١٧٢م.
ابن الأبَّار: الحلة السيراء، جـ٢ / ٢٣١ ــ ٢٣٣.

(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٣٥٣ ــ ٣٥٤.

ومع أن ابن مردنيش استطاع إخضاع شرق الأندلس لسلطانه، والاحتفاظ به لفترات طويلة، إلا أن معاصرته لفترة قوة الموحدين جعلت الضربات تتوالى عليه، وبدأ سلطانه ينهار بعد أن انفض حلفاؤه الأندلسيون من حوله، وانضم بعضهم إلى الموحدين. (١)

وفى رجب من سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م عبر يوسف بن عبدالمؤمن بجيش جرار إلى الأندلس، متوجهًا إلى ابن مردنيش فى الشرق بعد أن تفرق عنه أقرب المقربين؛ فكانت نهايته. (٢)

لقد كان ابن مردنيش فى الواقع يمثل بثورته ضد الموحدين، كل ما كانت تبطنه الأندلس القديمة من الآلام والآمال القومية، التى لبثت تجيش بها منذ استولى المرابطون على قواعدها، وفرضوا سيادتهم عليها، ولم تغير سيادة الموحدين بعد المرابطين لشبه الجزيرة شيئًا من هذا الاتجاه القومي، فقد كان الموحدون كالمرابطين بالنسبة للأندلس أجانب، ولم تكن فكرة الجهاد التى كان يحمل لواءها المرابطون ثم الموحدون، وما كانت الجيوش المرابطية ثم الموحدية تبذله فى سبيل حماية الأندلس، ومحاربة إسبانيا النصرانية، لتقضي تمام القضاء على الفكرة القومية الأندلسية، وإن كانت تلطف من آن لآخر من جزوتها واضطرامها، على أن ابن مردنيش لم يكن بالرغم من حصافته وجرأته وشجاعته، هو الشخصية المثلى لحمل لواء القومية الأندلسية، فقد

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٦٢.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلي المغرب، جـ٢ / ٢٥٠ ــ ٢٥١.

كانت ثورته على الموحدين، تفقد كثيرًا من قيمتها المعنوية، بما كان يجنح إليه من الإفراط فى مصادقة النصارى، والاستعانة بهم فى حروبه، وتمكينهم من قواعده، وتشبهه بهم فى زيه، وفى حياته الخاصة والعامة. (١)

واستطاع الموحدون بقوتهم فى عصرهم الذهبي، وحمايتهم للأندلس أن يجبروا فكرة النزعة الأندلسية ومعتنقيها على الخمول والرضا بالواقع لفترات أخرى من الزمن.

ثالثًا: الأندلس بعد هزيمة العقاب وانتشار النزعة الأندلسية:

وعن موقعة العقاب وآثارها يكفينا ما قاله فيها ابن عذارى المتوفى فى بداية القرن الثامن الهجري حيث ذكر (٢): " وفى هذه السنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) كانت واقعة العقاب التى كانت السبب فى هلاك الأندلس إلى الآن".

لقد أسفرت هزيمة العقاب الساحقة عن نتائج مروعة بالنسبة للأندلس؛ حيث قضت هذه الهزيمة نهائيًا على سمعة الموحدين العسكرية هناك، وتحطم ذلك الدرع الذى كانت تستند إليه دولة الإسلام فى الأندلس، وضمنت إسبانيا النصرانية تفوقًا عسكريًا وسياسيًا فتح الباب أمام غزو الاسترداد النصراني المنظم. (٣)

---

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٥٤.

(٢) البيان المغرب، جـ٥ / ٢٦٣.

(٣) د/ أحمد الحفناوي: صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ص٢٠٥.

فلم يسبق للأندلس أن نكبت بمثل هذه النكبة القاسية، والتى أعقبها وفاة الخليفة محمد الناصر، فغدت الأندلس من جديد مسرحًا مضطرمًا للحرب الأهلية، أولاً فيما بين الموحدين المتنافسين على العرش، وثانيًا فيما بين أبناء الأندلس أنفسهم، وفى خلال هذه الموجة الغامرة من المحنة القومية تتحفز أسبانيا النصرانية لانتهاز الفرصة السانحة، وتنظم متعاونة، متفاهمة أخطر برنامج لفتوح " الاسترداد " وتهتز مصاير القواعد الأندلسية الكبرى، ومصاير الأمة الأندلسية كلها. (١)

ولقد شجعت هذه الحالة المؤلمة التى كانت عليها الأندلس بعد كارثة العقاب على قيام بعض الرؤساء والقادة المغامرين بمحاولة الاستقلال بحكم الأندلس بغية إنقاذها من تلك النكسة التى حلت بها، فتكونت بذلك فترة طائفية ثالثة أو رابعة. (٢)

وقد ساعد ظهور هذه الزعامات المحلية على تسارع انتشار فكرة النزعة الأندلسية، ليصبح هؤلاء بديلاً للمرابطين ثم الموحدين القادمين من المغرب، حيث كانت ظروف ضغط النصارى على الأندلس وحدها التى تدفع بأهل الأندلس إلى تقبل حكم المرابطين ثم الموحدين، وإعلان الطاعة لهم، لذلك كلما بدا لأهل الأندلس من يستطيع مواجهة النصارى من الزعامات المحلية تراهم

---

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٣٢٩.

(٢) د/ أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص٢٢٨.

يلبون دعوته، ويعلنون الثورة على الولاة فى المدن الأندلسية المختلفة، كما حدث فى سائر الأندلس عندما ضعف المرابطون، وفى شرق الأندلس عندما استطاع ابن مردنيش إيقاف زحف الموحدين زهاء ربع قرن من الزمن.

وقد تكرر ذلك أيضًا، وظهرت فكرة النزعة الأندلسية عندما تحرك المأمون بجيشه إلى المغرب أثناء صراعه مع ابن أخيه يحيى المعتصم بن محمد الناصر [1]، تاركًا الأندلس لحاميات ضئيلة، ولزعامات محلية ناشئة وجدت فرصتها سانحة عندما خلت الساحة الأندلسية من التواجد الموحدي القوي كما كان سابقًا.

ولما تضعضع سلطان الموحدين إثر نكبة العقاب كان شرق الأندلس كذلك أول المناطق التى قامت بها الحركة التحريرية بالأندلس، ولم يكن ذلك سوى تجديد للحركة القومية الأندلسية التى اضطرمت ضد الحكم الموحدي فى شرق الأندلس، على يد محمد بن سعد بن مردنيش، بيد أن هذه المرحلة الأخيرة من الحركة القومية كانت ضعيفة، ولم يكتب لها الصمود، إزاء توثب الممالك

---

(١) يحيى المعتصم: هو يحيى بن محمد الناصر بن المنصور الموحدي، بايعه شيوخ الموحدين فى مراكش سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م أثناء وجود المأمون فى الأندلس ولقبوه بالمعتصم وعمره ستة عشر سنة، وبايعه كثير من مدن المغرب قبل أن يعبر إليه المأمون بجيوش الموحدين فى الأندلس ويتركها بحاميات ضئيلة، فجرت بينهما حروب انهزم فيها المعتصم ثم أكمل الصراع معه الرشيد بن المأمون، حتى اغتالت القبائل الصحراوية المعتصم سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ / ٢٥٢ ــ ٢٥٥.

النصرانية، وهجماتها المتوالية، فكانت بداية المحنة، ونذير الانهيار. (١)

رابعًا: شبح الانهيار والبحث عن الهوية:

ومما تجدر ملاحظته أن الدولة الموحدية، حازت عهدًا طويلاً من الانحلال والتفكك، استطال زهاء ستين عامًا، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وتدرجت فى هذا الانحلال أطوارًا متعاقبة، فلم يكن سقوطها أمرًا سريعًا مفاجئًا، كما حدث فى أمر الدولة المرابطية، وإنما كانت كل مرحلة تنبئ عن المرحلة التالية. (٢)

حقيقة كان استعانة إدريس المأمون باثنى عشر ألفاً من جيش قشتالة ليعبر بهم إلى المغرب لمواجهة ابن أخيه يحيى المعتصم، نقطة فارقة، حيث كان هو أول من جوَّزهم إلى العدوة المغربية فى شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ / أغسطس ١٢٢٩م، فاختلف عليه أهل الأندلس، وانتفضوا على حامياته القليلة فى مدن الأندلس، وتحول صراع الموحدين إلى المغرب حتى نهاية دولتهم. (٣)

وهنا أنبتت النزعة الأندلسية عددًا من الشخصيات الباحثة عن القيادة والزعامة، والتى توسم فيها الأندلسيون أن تقودهم إلى التخلص من الحكم المغربي، وفى نفس الوقت قيادة جبهة الأندلس فى وجه الأطماع الإسبانية المتمثلة فى " حركة الاسترداد ".

---

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٦٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٥٧٨.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٢٩.

ولكن هذه الحركات التى خرجت فى وجه بقايا الموحدين فـــى الأنـــدلس كانت تعني تهيئة الظروف والفرص للمالك الإسبانية؛ لتحقيق أحلامها التوسعية على حساب السيادة الإسلامية فى الأندلس. (١)

(١) محمد العروس المطوى: السلطنة الحفصية، ص٩٦.

المبحث الرابع
الآثار والنتائج

النزعة الأندلسية هي نتيجة لأسباب متقدمة فصلنا القول فيها إلا أنها فـــى ذات الوقت كانت مرحلة ترتب عليها آثار ونتائج مصيرية فى تاريخ الأندلس.

فبالرغم من تحميلنا للمرابطين ثم الموحدين المسئولية الكبرى لآثار ونتائج هذه النزعة، إلاَّ أن الأندلس وشعبه أيضاً يتحملون جزءً من هذه الآثار والنتائج التى اكتووا هم أولاً بنارها قبل أن تنتقل هذه الآثار إلى بلاد المغرب، ثم سائر الدولة الإسلامية الكبرى وإلى يومنا هذا، ولنا أن نفصل القول فى هذه الآثـــار والنتائج فى الوقفات التاليـــة:

أولاً: الشحن المعنوي للنخبة ولعامة الأندلس:

تعرض الأندلس بكل فئاته لشحن معنوي تجاه العنصر المغربي الحـــاكم سواء المرابطين أو الموحدين، وذلك نتيجة أفعال، وحوادث، وسوء إدارة من الفئة الحاكمة والجنود، أدت إلى خلق هذه الفجوة، ومن الغريب أن يكون هـــذا الإحساس بالنزعة الأندلسية فى مواجهة المغاربة عند الجميع فى الأندلس، وإن كان قد بدأ أولاً عند النخبة من أهل الأندلس قبل العامـــة.

أ. النخبة الأندلسية: الأمراء. الوزراء. الأدباء:

هذه الفئة من المجتمع الأندلسي والتي ضمت الأمراء السابقين وبيـــوتهم الحاكمة سابقًا، تعرضت لنوع من التطهير العرقي فى شتى مناصب الدولـــة، وتم إزاحة معظمهم عن المشهد السياسي سواء بالقتل أو النفي أو السجن كمـــا حدث لأمراء الطوائف.

كذلك تعرض الوزراء والأدباء لأحد أمرين وكلاهما مـــر:

أولهمـــا: الانزواء والابتعاد عن المشهد السياسي، وكان فيه خسارة كبيرة لمناصبهم ومكاسبهم.

ثانيهما: الانخراط فى خدمة الحكام الجدد، وهذا ما جعلهم يعـــانون مـــن الفجوة الثقافية الشاسعة بين أفكارهم وثقافتهم الأندلسية الثرية الغنية بحصـــيلة قرون من التطور والتقدم والازدهار، وبين الثقافة المغربية البدائيـــة التـــى لا يقويها سوى الحكام، والجيوش الحاملة لها من المغرب.

ولنا فى الحوار الذى جرى بين أبي الوليد الشقندي الذى عاش فى زمـــن المنصور الموحدي، وكان من خيرة الأدباء والفقهاء، وقد ولى قضاء بياسة ثم لورقة، وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي وهو من أدباء المغرب خير شـــاهد على ذلك.

حيث ذكر المقري [1]: " قال: ابن سعيد أخبرني والدي قال: كنت يومًا فى مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بن عبد المـــؤمن، فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحى بن المعلم الطنجي نـــزاع فـــى التفضيل بين البرين، فقال: الشقندي: لولا الأندلس لم يذكر بـــر العـــدوة، ولا سارت عنه فضيلة، ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم، فقـــال الأميـــر أبـــو يحيى: أتريد أن تقول كون أهل برنا عربًا وأهل بركم بربرا ؟ فقال: حاش لله ! فقال الأمير: والله ما أردت غير هذا، فظهر فى وجهه أنه أراد ذلك، فقـــال ابن المعلم: أتقول هذا وما الملك والفضل إلا من بر العـــدوة؟ فقـــال الأميـــر:

(١) نفح الطيب، جـــ٣ / ١٨٦ ــ ٢٢٢.

الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة فى تفضيل بره، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعًا، وأرجو إذا أخليتما له فكركما فيصدر عنكما ما يحسن تخليده، ففعلا ذلك ".

وحفظت لنا رسالة الشقندي فى تفضيل الأندلس ومفاخرها برجالها وعلمائها وأدبائها، وسائر مدنها حتى الآن فى كتاب المقري، نفح الطيب.

ب ـ عامة الأندلس:

وأما هؤلاء فقد بلغ بهم الشحن المعنوي مبلغه بعد أن زالت عنهم زهوة الحكام الجدد الذين دخلوا إلى الأندلس كمنقذين، وذلك فى العهدين المرابطي والموحدي، خصوصًا بعد أن بدأت جيوشهم تتلقى هزائم من الإسبان، وأصبحت حملاً ثقيلًا على أهل الأندلس، ونتج عن احتكاك الجنود بالعامة بعد أن بدأت هاتان الدولتان فى طور الضعف أمور نقمها العوام على الحكام، وظهر التفافهم حول زعاماتهم المحلية سواء الثوار من القضاة والأدباء فى نهاية عصر المرابطين، أو الزعامات المحلية، فى نهاية عصر الموحدين، الذين تحولت جيوشهم مع المأمون الموحدي إلى الصراع فى المغرب.

وكان من أشد ما سخطه عامة أهل الأندلس على المرابطين، ثم الموحدين استعانتهم فى نهاية عهد كل منهما بالمرتزقة النصارى فى صراعاتهم الداخلية، والثمن الباهظ الذى دفع من أموال وحصون الأندلس ومدنه، حتى بلغ بهم الأمر إقامة كنيسة للنصارى الإسبان فى مراكش عاصمة الخلافة الموحدية فى المغرب. (١)

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٥ / ٢٩٨، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ٦٣٦ ــ ٦٣٧.

ثانياً: الثورات والصراعات فى الأندلس:

أ ـ عصر المرابطين:

كما أسفلنا سابقًا، كانت نهاية دولة المرابطين فى الأندلس سريعة وأحداثها متوالية، فبمجرد انقضاض الموحدين على العاصمة مراكش ومقتل الأمير تاشفين بن علي ٥٣٩هـ / ١١٤٥م، كانت العدوة الأندلسية مشتعلة بالثورات يقودها القضاة ورجال الدين، تعلوهم النزعة الأندلسية.

وكان أول الثائرين بالأندلس ابن قسى [١] فى مدينة شلب بغرب الأندلس، ثم ابن حمدين [٢] قاضي قرطبة عاصمة الأندلس، وابن أضحى[٣] قاضي غرناطة بجنوب الأندلس، وأبو عبد الملك بن عبد العزيز [٤] ببلنسية حاضرة

---

(١) ابن قسى: أحمد بن الحسين بن قسى، ادعى الصوفية والتف حوله الناس، وسموا بالمريدين، وثار بهم فى غرب الأندلس على الحكم المرابطي، ثم دخل تحت راية الموحدين وقتله أهل شلب ٥٤٦هـ / ١١٥١م. ابن الآبَّار: الحلة السيراء، جـ٢ / ١٩٧ ــ ٢٠٠.

(٢) ابن حمدين: أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي، قاضي قرطبة، ثار على حكم المرابطين وتسمى بناصر الدين وأخذ البيعة لنفسه، طرده بنو غانية من قرطبة فالتجأ إلى مالقة حتى وفاته ٥٤٦هـ / ١١٥١م. لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٥٣.

(٣) ابن أضحى: أبو الحسن علي بن عمر، ولى قضاء المرية ثم غرناطة، وثار بأهل غرناطة على حكم المرابطين، واستمر فى صراع معهم حتى وفاته ٥٤٠هـ / ١١٤٥م. ابن الآبَّار: الحلة السيراء، جـ٢ / ٢١١ ــ ٢١٥.

(٤) أبو عبد الملك بن عبد العزيز: مروان بن عبد الله بن مروان، قاضي بلنسية بايعه أهلها بالحكم بعد الثورة على حكم المرابطين، ثم خلعه الجند فسقط فى يد المرابطين وحبس عشر سنوات، ثم فرَّ إلى الموحدين، حتى مات بمراكش ٥٧٨هـ / ١١٨٢م. ابن الآبَّار: الحلة السيراء، جـ٢ / ٢١٨ ــ ٢٢٦.

شرق الأندلس، وبذلك أصبحت الثورات تعم سائر كبريات مدن الأندلس من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه. (١)

حقيقة أن أعراض الثورة فى الأندلس ضد المرابطين قد ظهرت أولاً فى الطرف الغربي من الأندلس، وهي أبعد المناطق عن سلطان الحكومة المركزية، ولنلاحظ أن هذه الأعراض الثورية قد ظهرت فى الأندلس فى نفس الوقت الذى بدا فيه انهيار الدولة المرابطية فى المغرب أمرًا محققاً. (٢)

فكانت هذه الثورات تنفيسًا عما جاش فى نفوس أهل الأندلس تجاه الحكم المرابطي، وإحساسهم العارم بخصوصيتهم، فأخذت النزعة الأندلسية تظهر رويدًا رويدًا، حتى واتتها الفرصة فكان الانفجار الشامل، والتفافهم حول الزعامات الأندلسية فى ذلك التوقيت، ومعظمهم من القضاة ورجال الدين.

ب ـ عصر الموحدين:

لم تكن نهاية الدولة الموحدية سريعة ومباغتة كنهاية الدولة المرابطية، ولكن طال طور الضعف فيها، وإن كان معظم هذه الفترة تمت بالمغرب.

أما فى الأندلس فقد بدأت نهاية الموحدين بهزيمة العقاب، وكان انتقال الخليفة المأمون إدريس الموحدي بجيشه إلى المغرب لمواجهة ابن أخيه يحى المعتصم والاكتفاء بحاميات قليلة، كان نقطة فارقة فى الوجود الموحدي فى الأندلس.

---

(١) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٤١ ــ ٢٥٥.

(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الأول، ص٣٠٦

أما النزعة الأندلسية التى ظهرت فى عصر المرابطين، والتى أحس قادتها وعوام الأندلس عدم قدرتهم على مواجهة الممالك الإسبانية القوية فى هذا الوقت، فبايعوا الموحدين متنازلين عن هويتهم الأندلسية فى مقابل الحماية من السقوط، فقد عادت للظهور والانتشار عندما ضعفت قوة الموحدين فى مواجهة الإسبان.

نعم لقد اهتزت الأندلس من أقصاها إلى أقصاها لهذه الأحداث الخطيرة، ونهضت من سباتها الطويل، الذى فرضه عليها الحاكم الموحدي زهاء ثمانين عامًا، وأخذت تضطرم بسلسلة جديدة من الفورات القومية، على غرار ما حدث فى أواخر العهد المرابطي، بيد أن هذه الفورات كانت مع الأسف حركات متناثرة، متنافسة، متخاصمة، تفرق بينها الأطماع الخاصة، وإن كانت تجمع بينها رابطة الغرض المشترك، وهو تحرير الأندلس من نير الموحدين، وحمايتها من عدوان النصارى.(١)

ويبدو أن الأسباب قد اجتمعت لخروج هذه الثورات التى نبعت فى الأساس من النزعة الأندلسية، والسخط العام على الحكم الموحدي للأندلس، ولكن كان يؤخرها انتظار الوقت المناسب للخروج على حكم الموحدين للأندلس.

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٣٨٩.

فقد قامت هذه الحركات التحريرية فى شرقي الجزيرة وفى وسطها، فى وقت واحد، وكانت بالرغم من طابعها الشخصي، وهو ما يتفق مع روح العصر، حركات قومية أندلسية محضة، وكان قيامها فى غمار المحن التى نزلت بالأندلس من جراء تخاذل السادة والحكام الموحدين، عن تأدية واجبهم الأول فى شبه الجزيرة، وهو الدفاع عن الأندلس وحمايتها من عدوان النصارى، وتحول نشاطهم إلى معارك داخلية شخصية، بل وإلى مصانعة وتسليم للنصارى، ولم تكن حال الموحدين، وتضعضع قواهم، وانهيار مواردهم بالمغرب، خافية على الأمة الأندلسية، وعلى زعمائها الذين نهضوا فى هذه الفترة العصيبة، يحاولون إنقاذ الموقف، بكل ما تسمح به الظروف والأحوال. (١)

وكان من أبرز هذه الزعامات ثلاثة رجال، قادوا مدن الأندلس فى هذه المهمة وهم: محمد بن يوسف بن هود، محمد بن يوسف بن الأحمر، وأبو جميل زيان بن مردنيش.

١. محمد بن يوسف بن هود الجزامي:

وهو أول الثائرين بالأندلس، كان ظهوره بتملكه مدينة مرسية بشرق الأندلس سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م، ثم أعلن البيعة للدولة العباسية، وتلقب بالمتوكل على الله، وقد استمر فى حركته عشر سنوات، دخلت فى طاعته مدن

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ــ القسم الثاني، ص٣٨٩.

شرق الأندلس، وعدد من مدن الوسط منها قرطبة وإشبيلية، وقد حدثت بينه وبين ابن الأحمر صدامات قبل أن يؤثرا السلامة أمام ضغوط الممالك الإسبانية، كما واجه ابن مردنيش الثائر عليه فى شرق الأندلس، قبل أن يقتل مسمومًا عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م على يد وزيره ابن الرميمي. (١)

٢.أبو جميل زيان بن مردنيش:

ينتمي إلى أسرة عريقة، قادت ثورة شرق الأندلس ضد المرابطين ثم الموحدين، وعلى رأسها محمد بن سعد بن مردنيش صاحب أقوى الثورات فى الأندلس، وأطولها عمرًا، لذا التف أهل بلنسية حول عميد بيت إمارتهم القديم أبي جميل زيان بن مردنيش، ونادوا برياسته سنة ٦٢٩هـ / ١٢٢٩م، ودعا للخليفة العباسي أيضًا لاكتساب الشرعية ضد الموحدين، وجرت بينه وبين ابن هود مواجهات كانت نهايتها فى صالح الإسبان، الذين اشتدت حماستهم " لحركة الاسترداد " وانتقل أبو جميل زيان بن مردنيش بأهله إلى إفريقية (تونس) ومات هناك سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م. (٢)

٣.محمد بن يوسف بن الأحمر:

يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة ــ رضى الله عنه ــ التف حوله أهل حصن " أرجونة " الواقع بالقرب من مدينة جيان معقل أسرته

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٦.

(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب فى حلى المغرب، جـ٢ / ٣٠٣. لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٧٢.

بالأندلس ثم بايعته القواعد الكبرى بجنوب الأندلس، اصطدم فى توسعاته بابن هود أحيانًا، وصانعه أحيانًا أخرى، حتى كانت وفاة ابن هود فبادر إلى جمع ما تناثر من المدن فى ظل هجوم كاسح من الممالك الإسبانية التى حاول مصانعتها، حتى خرج بمملكة غرناطة آخر ما تبقى للمسلمين من الأندلس. (١)

وقد نشأت هذه المملكة فى غمر الفوضى التى سادت الأندلس، على أثر انهيار سلطان الموحدين، ولكنها كانت فى حاجة إلى الاستقرار والتوطد وكان محمد بن يوسف يواجه فى سبيل هذه المهمة كثيرًا من الصعاب، وكانت الأندلس قد مزقتها الحرب الأهلية شيعًا، وانتثرت إلى حكومات ومناطق عديدة، وكان ابن الأحمر يحظي بتأييد جمهرة كبيرة من الشعب الأندلسي ولاسيما فى الجنوب، ولم يك ثمة ما يمنع من التفاف الأمة الأندلسية كلها حول لواء هذا الزعيم المنقذ، ولكن روح التفرق والتنافس كانت متأصلة فى نفوس المتغلبين والطامعين، وكان أصاغر الزعماء والحكام يؤثرون الانضواء تحت لواء ملك النصارى، والاحتفاظ فى ظله بمدنهم وقواعدهم، على مظاهرة ابن الأحمر والانضواء تحت لوائه. (٢)

وفى فترة عصيبة هي أشد فترات تاريخ الأندلس سوادًا وقتامة، انهارت قواعد الأندلس الكبرى أمام ضغوط الممالك الإسبانية، وانزواء الموحدين إلى المغرب للتفرغ إلى صراعهم الداخلي، حول ما تبقى من دولتهم، ومحاولة

(١) لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، ص٤٤ ــ ٤٥.

(٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الرابع، ص٤١.

الأندلسيين الالتفاف حول زعمائهم الصغار؛ لعل فكرة النزعة الأندلسية وزعماءها يستطيعون إبطاء الزحف الإسباني.

ثالثاً: سقوط قواعد الأندلس الكبرى:

حائط الشقاق الذى نشأ بين المسلمين الأندلسيين والمغاربة، والذى تمثل فى النزعة الأندلسية فى مواجهة الحاكم المغربي، نشأ لأسباب متعددة، ولكن ترتب عليه نتائج أليمة.

هذا الشقاق تعاون الطرفان بنسب متفاوتة فى إيجاده، المغاربة بقسوتهم وخشونتهم الزائدة كحكام وجيوش تحولت فى فترات من منقذ إلى محتل مسيطر، وأهل الأندلس باستغلالهم فترات ضعف وانهيار الدولتين المرابطية والموحدية لتحقيق مآرب شخصية، أو مساندة زعامات وهمية.

بينما لم يسلم الطرفان من الاستعانة بالعدو الأوحد للوجود الإسلامي فى الأندلس، وهو الممالك الإسبانية النصرانية القادمة من الشمال ترفع راية " حركة الاسترداد " حتى كانت الفواجع بعضها يتلو بعضاً بسقوط مدن الأندلس كما يلي:

أ ـ عصر المرابطين:

انتظر الإسبان كثيرًا الفرصة السانحة للاستيلاء على ما تبقى من مدن الثغر الأعلى فى الأندلس، بعدما استولوا على مدينة سرقسطة قاعدة الإقليم سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م، وقد صدتهم هزيمة إفراغة [١] عن مشاريعهم حيناً،

---

(١) هزيمة إفراغة: هي هزيمة ساحقة لحقت بالملك ألفونسو المحارب حاكم مملكة أرجوان الإسبانية سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٤م، على يد المرابطين بقيادة القائد يحيى بن غانية، عند مدينة إفراغة إحدى مدى الثغر الأعلى بالأندلس. ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩ / ٣٨٧. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس العصر الثالث ـ القسم الأول، ص١٢٠ ـ ١٢٦.

فلما انفجر بركان الثورة فى الأندلس ضد المرابطين، وشغلت الحاميات المرابطية فى كل قاعدة، بالذود عن نفسها، وشغل زعماء الثورات كل بتوطيد سلطانه، شعر النصارى فى الثغر الأعلى بأن الفرصة قد سنحت لتحقيق مشروعهم. (١)

فاستطاعوا الضغط على بني غانية حكام شرق الأندلس من قبل المرابطين، واستولوا على مدن شمال شرقي الأندلس، طرطوشة ولاردة وإفراغة ومكناسة وشنتمرية وأشبونة، وكلها من مدن شمال شرق الأندلس المعروفة بالثغر الأعلى سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م. (٢)

وكانت مملكة قشتالة الإسبانية بمساعدة حشود فرنسية، وأساطيل من المدن الإيطالية جنوة وبيزة، قد استطاعوا الاستيلاء على قاعدة هامة فى جنوب شرقي الأندلس، وهي مدينة المرية التى طالما هدد سكانها مدن أوربا المطلة على البحر المتوسط، فحاصروها من البر والبحر ثلاثة أشهر دون مجيب، حتى استولوا عليها فى جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ / أكتوبر ١١٤٧م. (٣)

وقد ساعدهم فى ذلك انهيار الحاميات المرابطية تحت وطأة الثورات فى المدن الأندلسية، وعدم وصول الجيوش الموحدية بعد، فأحسن المهاجمون اختيار التوقيت وهو فترة ضعف المسلمين فى الأندلس.

---

(١) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص٣٦٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٠.

(٣) المقرى: نفح الطيب، جـ٤ / ٤٦١. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ٢ / ٢٤٩.

ب ـ عصر الموحدين:

أما فى نهاية عصر الموحدين فقد تحولت الأندلس إلى أشلاء متناثرة بعد انهيار الحكم الموحدي فيها، وعجزت الحاميات الموحدية عن التصدي للممالك الإسبانية أو الزعامات المحلية، وحتى هذه الزعامات التى التف حولها أهل الأندلس تحذوهم النزعة الأندلسية، يحاولون النجاة بأقل القليل من الأندلس، نشبت بينهم المشاحنات والصراعات، وصانع كل منهم الإسبان على حدى، حتى أنهم كانوا يرون كبريات مدن الأندلس تسقط ولا يستطيعون تحريك ساكناً.

إن ما حدث فى هذه الفترة العصيبة هو مجزرة لقواعد الأندلس الكبرى، فى أعوام قليلة تنهار عواصم الأندلس، وأركانه مدن الوسط والشرق والغرب، تحت وطأة حركة الاسترداد الإسباني، التى استعدت جيدًا لهذه الغنائم الثمينة، والتى فاقت كل أمانيها.

يذكر ابن عذارى عن سقوط قرطبة وما أحدثه [1]: " وفى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٦م) كان دخول النصارى مدينة قرطبة أعادها الله للإسلام: نزل أدفونيش أخزاه الله بعساكره الذميمة على مدينة قرطبة فحاصرها وضيق عليها، وأقبلت نحوه الحشود من البلاد القاصية والدانية، إلى أن ملكها وأخرج المسلمين منها، وهذا من أجل مصاب وأعظمه، ولكن الرضى بما قدره الله وأحكم، إذ هي أم المدائن، وقرة عين الوارد والقاطن،

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٣١.

فلقد حلَّ بالأندلس من الروم ما يلين له القاسي، وتنهد له الجبال الرواسي، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ".

فقد كان ملوك الأندلس ــ فيما سبق ــ كلما وجدوا من الإسبانيين ضغطًا عليها طلبوا معونة ملوك العدوة، فيرسلون إليهم بالغزاة من الرجال والفرسان على أساطيلهم، فيكشفون عنهم ما نزل بهم، كما كان من المرابطين والموحدين الذين آل إليهم ملك الأندلس، حتى إذا ضعف الموحدون استولى ملوك الإسبان على أغلب حصون البلاد ومدنها الشهيرة فى القرن السابع الهجري، الذى كان شؤمًا على مسلمي الأندلس، فاستولوا على كوشَه ومــارده وبطليــوس ســنة ٦٢٢هــ / ١٢٢٥م، وعلى جزيرة ميورقه ٦٢٧هــ / ١٢٢٩م، وعلى قرطبة ٦٣٣هــ / ١٢٣٦م، وعلى شاطبة ٦٣٥هــ / ١٢٣٧م، وعلى بلنسية ٦٣٦هــ / ١٢٣٨م، وعلى مرسية وإشبيلة ٦٤٦هــ / ١٢٤٨م، ولم يبق فى يد مسلمي الجزيرة غير غرناطة وضواحيها تحت سلطان بني الأحمر. (١)

نعم لقد سقطت قواعد الأندلس الشهيرة فى سلسلة من المعارك والمحــن الطاحنة، التى تقلبت فيها الأمة الأندلسية، وكان سقوط كل قاعــدة مــن هــذه القواعد الشهيرة التى كانت تسطع بمجتمعاتها وحضارتها الزاهرة خلال ظلام العصور الوسطى، يمثل ضربة مميتة للدولة الإسلامية فى الأندلس، ويحــدث أعمق صدى فى جنبات الدولة الإسلامية فى الشرق والغرب، وينتــزع مــن

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـــ٤ / ١٦٦ ــ ١٧٣.، محمد لبيب البتنــوني: رحلة الأندلس، ص١١٢.

وحي النثر والنظم أروع المراثى، وكانت الأمة الأندلسية كلما سقطت قاعدة من قواعدها الشهيرة، فى يد عدوتها القديمة المتربصة بها ــ إسبانيا النصرانية ــ ألفت عزاءها فى قواعدها الأخرى، وهرع معظم السكان المسلمين إلى القواعد الإسلامية الباقية، استيفاء لحرياتهم، ودينهم وكرامتهم، حتى لم يبق من تلك القواعد الشهيرة سوى غرناطة وأعمالها، تؤلف مملكة إسلامية صغيرة.(١)

سقطت قواعد الأندلس الكبرى، وسقطت معها فكرة النزعة الأندلسية، ومن داخل أسوار المدن المحاصرة، اكتشف الأندلسيون كلمات المعتمد ابن عباد لابنه، عندما همَّ باستدعاء المرابطين من المغرب فقال: يا ولدي لأن أموت راعيًا للإبل بالمغرب، خير عندي من أن أردَّ الأندلس دار كفر، فتكون اللعنة علىَّ من المسلمين أبد الدهر.

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الرابع، ص١٦ ــ ١٧.

الخاتمة

وبعـــــد... وقد وصلنا بتوفيق الله إلى خاتمة الحديث فى هذا الموضوع الذى رأيناه جدير بالدراسة والبحث، ورأينا فيه من العبر والمواعظ ما يهــوّن بذل الوقت والجهد فيه، فقد بقى أن نذكر أهم النتائج والتوصيات التى ظهرت خلال صفحات الدراسة.

أهم النتائج:

١ــ المطلع على تاريخ هذه الحقبة وأحداثها وأدوار رجالهــا، يجــد أن الطرفين المغربي والأندلسي قد لعبا دوراً هامًا فى إذكاء هذه الفكرة وإخراجها إلى العوام على المدى الطويل.

٢ــ النزعة الأندلسية (رغم إيماننا بتفوق الثقافة الأندلسية) كانــت مثــل الداء فى جسم الإنسان، يظهر فقط فى فترات الضعف والوهن.

٣ــ بذل المرابطون والموحدون جهودًا مضنية، ودماءًا غالية، وأرواحًــا طاهرة فى الحفاظ على الأندلس الإسلامية، ومع ذلــك أخطــاؤهم السياســية والإدارية كانت كفيلة بإيجاد النزعة الأندلسية.

٤ــ بعد انتهاء عصور الفتح والقوة ونهاية الدولة الأموية فى الأنــدلس، دأب الأندلسيون على البحث عمن يقوم بحمايتهم من الممالك الإسبانية وهــذا خطأ فادح، فلا يحمي الأوطان إلا رجالها.

٥ــ بناء الأوطان والمحافظة عليها، يحتاج إلى العبــور فــوق حــواجز الاختلاف بين أبناء الوطن مهما كان اتساعه، وهذا يكون مــن الحــاكم ثــم

المحكوم، وإلاَّ فالانهيار قادم.

٦ــ رجال الفكر والثقافة هم القادة الفعليون للمجتمعات، فبأفكارهم تتشكل الثقافة، وبآرائهم تتحرك العامة، وبرؤيتهم المستقبلية يرسم مستقبل الأمم، وبأخطائهم نرى ما حدث فى نهاية عصر المرابطين.

٧ــ سقوط الأندلس على مدار عصوره، ما هو إلا مجموعة من قوالب الأخطاء التاريخية، تتكرر فى كل عصر بنفس القواعد وبأشكال مختلفة.

٨ــ عاش المسلمون فى الأندلس، فتحوا، وزرعوا، وصنعوا، وأبدعوا، وكتبوا، وتناحروا، وتنافروا، وتقاتلوا، ثم طردوا من جنة الدنيا " الأندلس "، ولم يكن لهم إلا عدو واحد هو الإسبان الذين حملوا راية " حركة الاسترداد " على مدار قرون ومما يخزى أن الاستعانة بهم كانت عنوان كل عصور حكم الأندلس.

.التوصيات:

١ــ تاريخ الأندلس " الفردوس المفقود " غني بالتراث الذى يحتاج دائماً إلى أيدي المبدعين لنفض الغبار عنه، واستخراج كنوزه فخيراته لا تنضب.

٢ــ دولة المسلمين فى الأندلس، من النماذج المكتملة للأنظمة الحاكمة فى هذه العصور، مصادرها فى الأعم الأغلب متوفرة، وتاريخها معروف، لذا من الممكن تناولها بالدراسة والبحث، واستخراج النماذج البحثية منها لكافة القضايا السياسية والإدارية وغيرها.

٣ــ التاريخ مجموعات من التجارب، شارك فيها أناس حقيقيون وبأحداث

فعلية، فى دول معروفة، وأماكن محددة، ولا يبقى إلاَّ رصد هـذه التجـارب بحيدة تامة، ودأب فى البحث عن الحقيقة المطلقة، لإنقاذ أوطاننا الحالية مـن آفات وأمراض الأمس، وهي مهمة الباحث فى التاريخ.

استعنا بالله فى رصد وتسطير ما سبق، عسى الله أن ينفـع بـه الـبلاد والعباد، ولم يبق لنا إلا أن ندعوا الله بالقبول.

والله الموفق،،،

قائمة أهم المصادر والمراجع

.القرآن الكريم:

.أولاً: المصادر:

- **ابن الآبّار: أبو عبد الله محمد القضاعي (ت ٦٥٨هـ)**

ــ الحلة السيراء، ط دار المعارف ــ القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

- **الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت أواخر القرن التاسع الهجري)**

ــ الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، ط مؤسسة ناصر للثقافة ــ مصر، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

- **ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)**

ــ تاريخ ابن خلدون، تقديم د/ عبادة كحيلة، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ مصر ٢٠٠٧م.

- **ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن القاسم القيرواني (ت١١١٠هـ)**

ــ المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تحقيق / محمد شمام، ط المكتبة العتيقة ــ تونس (بدون تاريخ).

- **ابن أبي زرع: علي بن أبي زرع الفاسي (ت منتصف القرن الثامن)**

ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة / عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط ــ المغرب، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- **الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت فى القرن التاسع الهجري)**

ــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الأولى ١٢٨٩هـ.

- **ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت فى النصف**

الثاني من القرن السابع)

ــ المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف (بدون تاريخ).

❦ الأمير عبد الله الزيري: عبد الله بن بلقين بن باديس (ت ٤٨٣هـ)

ــ مذكرات الأمير عبد الله المعروف بكتاب " التبيان " تحقيق / ليفى بروفنسال، ط دار المعارف ــ مصر (بدون تاريخ).

❦ ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ)

ــ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق / ج.س.كولان، ليفى بروفنسال، ط دار الثقافة ــ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ــ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ــ قسم الموحدين، تحقيق/ محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط دار الغرب الإسلامي ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

❦ ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي الكتامي المراكشي (ت منتصف القرن السابع)

ــ نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د/ محمود علي مكي، ط دار الغرب الإسلامي (بدون تاريخ).

❦ لسان الدين بن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت٧٧٦هـ)

ــ أعمال الأعلام، تحقيق / ليفى بروفنسال، ط دار المكشوف، الطبعة الثانية ــ لبنان ١٩٥٦م.

ــ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، تحقيق د/ محمد زينهم، ط دار

الثقافة للنشر ــ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

❦ **مجهول**:

ــ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د/ سهيل زكار، أ/ عبد القادر رزمامه، ط دار الرشاد ــ الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

❦ **المراكشي**: **عبد الواحد بن تميم (ت فى القرن السابع الهجري)**

ــ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/ محمد زينهم، ط دار الفرجاني، القاهرة ١٩٩٤م ز

❦ **المقري**: **شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)**

ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار صادر ــ بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

❦ **ياقوت الحموي**: **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت البغدادي (ت٦٢٦هـ)**

ــ معجم البلدان، ط دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ثانيًا: **المراجع العربية والمعربة**:

❦ **د/ إبراهيم القادري بوتشيش**:

ــ أثر الأزمة الأخلاقية فى سقوط دولة الإسلام فى الأندلس، بحث منشور بندوة الأندلس الدرس والتاريخ ــ برعاية كلية الآداب جامعة الإسكندرية ورابطة الجامعات الإسلامية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

❦ **د/ أحمد الحفناوي**:

ــ صفحات من تاريخ المرابطين والموحدين، ط الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة ١٩٧٩م.

❦ **د/ أحمد شلبي**:

ــ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط مكتبة النهضة، القاهرة ــ الطبعة السادسة ١٩٨٢م.

❦ **د/ السيد عبد العزيز سالم**:

ــ فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ط مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٨م.

❦ **إميليو جارثيا جوميث**:

ــ الشعر الأندلسي، ترجمة د/ حسين مؤنس، ط دار الرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

❦ **د/ جودت الركابي**:

ــ فى الأدب الأندلسي، ط دار المعارف ــ مصر، الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).

❦ **د/ حسن أحمد محمود**:

ــ المرحلة الإفريقية فى تاريخ المرابطين، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الثاني عشر ١٩٦٤ / ١٩٦٥م.

❦ **د/ حسن علي حسن**:

ــ الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ط مكتبة الخانجي ــ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

❦ **د/ حسين مؤنس**:

ــ نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين (٥٢٠هـ / ١١٢٦م ــ ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) مجلة المعهد المصري للدراسات

الإسلامية ــ مدريد، المجلد الثالث، العدد الأول ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

❦ **رينهرت آن دوزى**:

ــ المسلمون فى الأندلس، ترجمة د/ حسن حبشي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٩٥م.

❦ **د/ سحر السيد عبد العزيز سالم**:

ــ تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامي، ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية (بدون تاريخ).

❦ **د/ شاكر مصطفى**:

ــ الأندلس فى التاريخ، ط منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٩٠م.

❦ **د/ شوقي ضيف**:

ــ عصر الدول والإمارات الأندلس، ط دار المعارف ــ مصر (بدون تاريخ).

❦ **د/ عبادة كحيلة**:

ــ الطوائف ودورها فى ضياع الأندلس، مجلة المؤرخ المصري ــ كلية الآداب ــ جامعة القاهرة، العدد الثالث ١٩٨٩م.

ــ القطوف الدواني فى التاريخ الإسباني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٧م.

ــ المغرب فى تاريخ الأندلس والمغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

د/ عبد الحميد العبادي:

ــ المجمل فى تاريخ الأندلس، ط مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة (بدون تاريخ).

د/ عبد الفتاح مقلد الغنيمي:

ــ كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون (مأساة الفردوس المفقود ٩٢ ــ ٨٩٧هـ / ٧١١ ــ ١٤٩٢م) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

د/ عصمت دندش:

ــ الأندلس فى نهاية المراطبين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني (٥١٠ ــ ٥٤٦هـ / ١١١٦ ــ ١١٥١م) تاريخ سياسي وحضاري، ط دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

غوستاف لوبون:

ــ حضارة العرب، ترجمة د/ عادل زعيتر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.

د/ لطفي عبد البديع:

ــ الإسلام فى إسبانيا، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

ليفى بروفنسال:

ــ الحضارة العربية فى إسبانيا، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي، ط دار المعارف ــ مصر، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

محمد إبراهيم زغروت:

ــ الجيش فى عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

محمد عبد الله عنان:

ــ دولة الإسلام فى الأندلس، ط مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

محمد العروسى المطوي:

ــ السلطنة الحفصية ــ تاريخها السياسي ودورها فى المغرب الإسلامي ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

د/ محمد عودات وآخرون:

ــ تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، ط دار الأمل، إربد ١٩٨٩م.

محمد لبيب البتنوني:

ــ رحلة الأندلس، ط مطبعة مصر، الطبعة الثانية (بدون تاريخ).

يحيى أبو المعاطي:

ــ الحواضر الإسلامية فى المغرب والأندلس فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير ــ كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

يوسف أشباخ:

ــ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة / محمد عبدالله عنان، ط لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٤٠م.